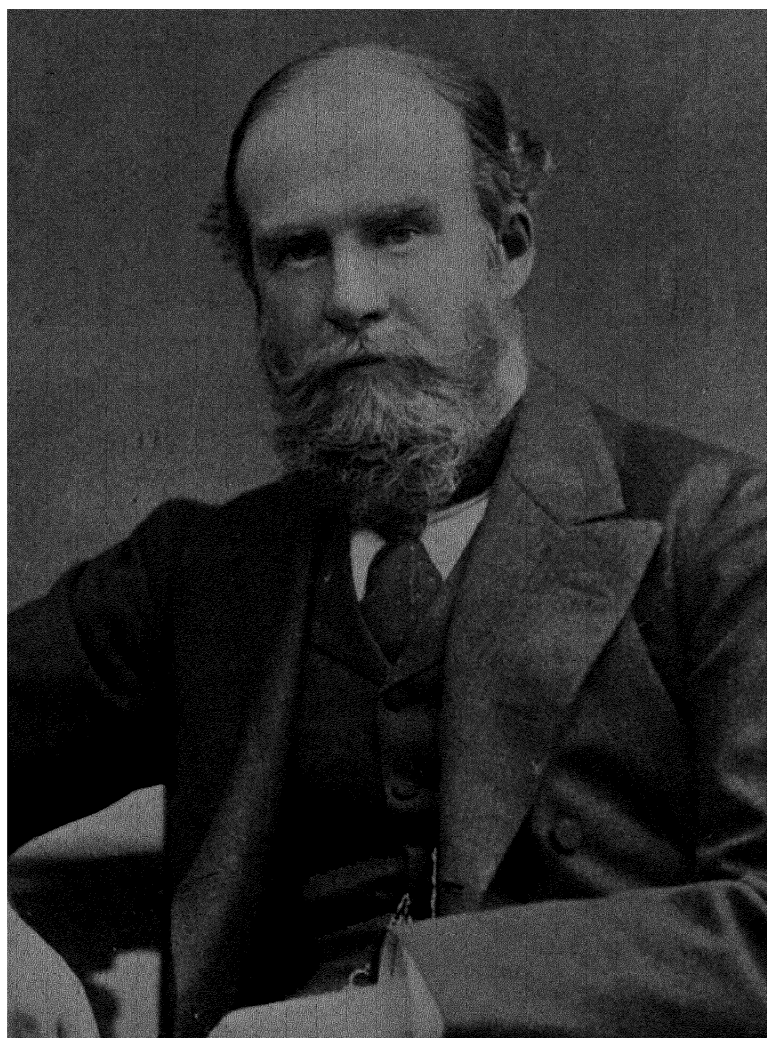


UNIVERSAL
LIBRARY

OU_236014

UNIVERSAL
LIBRARY



مشرة الحياة

تأليف
اللورد أتشبوري

العضو بالجمعية الملكية بلوندره و بالبرلمان البريطانى
ورئيس المجلس العمومى ومجلس التجارة بلوندره

تعريب

حسن زماين

بنظارة المعارف العمومية
وأحد طلاب الحقوق

«حقوق الطبع محفوظة للمترجم»

(الطبعة الثانية)

بتصريح من نظارة الداخلية الجلية

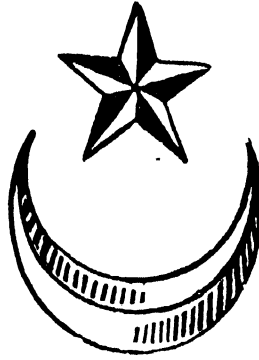
(بالمطبعة الاميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م)

بسم الله الرحمن الرحيم
« وبه ثقى والمصطفى وسيلتى »

اللهم رحمة فقد فشت صفار النفوس وضاعت الحقائق ونجس الناس
أشياءهم بل عميت العيون عن قذاها واستهين بكرامة الغير وانحطت
النفوس للماديات وقتلت الضعاف بالاباطيل والمفتریات
اللهم انك تعلم أن هذا بعض ما أنتجه نقص التربية الادبية بيدنا
بهيمىء سبحانك للعاملين سبيل السداد
وهذا كتاب ثمرة الحياة أنشر طبعته الثانية بعد عشر سنوات خلت
من الاولى ونحن أشد الناس حاجة الى كثير من أمثاله ولله الامر
من قبل ومن بعد .

القاهرة فى غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٧ حسن رياض

مقدمة الطبعة الاولى



بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فقد وفقتنى يد البحث الى كتاب فى طرق المعيشة ألفه باللغة الانجليزية جناب السير جون ليوك (اللورد أفبورى)^(١) وترجمه الى اللغة الفرنسية جناب المسيو إيميل هوڤلاك^(٢) المفتش العام لجامعة باريس ولما حواه هذا المؤلف من جم الفوائد قد نال من فائق الشهرة وعام الاستحسان ما جعله هو وترجمته الفرنسية أكثر الكتب تداولاً بين أيدي أبناء التاميز والسين فلا تكاد ترى خزانة كتب أحدهم تخلو منه بل اتخذوه السميع المفيد فى أوقات الفضاء والمرجع الحكيم فى السراء والضراء وانى لأريد شحن هذه الورقات بذكر ما هطلت به ألسنة الكتاب تقرظاً لهذا الكتاب وترجمته اكتفاء بما يشعر به كل مطلع على ما فيه كما انى

(1) The Use of Life, by Lord Avebury, M.P., F.R.S., D.C.L., L.L.D.

(2) M. Émile Hovelague, Inspecteur général de l'Université de Paris.

مارغبت في تعريبه ونشره لكونه كتابا معدوم النظير في اللغة العربية
انما لكونه كتابا عصريا وان ما أترجمه هو فكر أمة حية بلغت من
الترقى والتقدم أسنى مكان . وقد كتبت لجناب المؤلف بما يأتي :

القاهرة في ٢٩ يولييه سنة ١٨٩٩

سيدى العزيز

لقد أسعدنى الحظ بتوفيقى الى كتابكم الثمين « ثمرة الحياة » المترجم
الى اللغة الفرنسية فطالعت به بدقة ووجدته عظيم الفائدة مفعما بصائب
الافكار فكتبت هذا لجنابكم راجيا التصريح لى بتعريبه ليعم نفعه
سكان هذه البلاد فهل تسمحون لى بذلك لاشكركم بالنيابة عن وطنى
ومواطنى

وعليه فانى منتظر الافادة راجيا قبول فائق احترامى

المخلص لكم

حسن رياض

بنظارة المعارف العمومية

فأجاب جنابه بما يأتى :

تحريرا بميدان سان پچس نمرة ٢ فى ٩ أغسطس سنة ١٨٩٩

سيدى العزيز

انه ليسرنى كثيرا رؤية كتابى الصغير الذى أرسل لكم نسخة
من آخر طبعة منه مترجما الى اللغة العربية فأرجوكم افادتى

عما اذا كنتم قد عزمتم نهائيا على الشروع فى العمل وفى هذه الحالة
ترسلون الى ست نسخ عند تمام الطبع
وانى لشاكركم على ما قلتموه عنه مع الوثوق بآنى

المخلص لكم
جون ليبوك

ثم عرفت جنابه عن طلبه ووردت الى تلك النسخة فوجدت
مضافا فيها فصلا فى الوطنية وملاحقا اقتصاديا فى النهاية عرّبت
الاول وأهملت الأخير لامتزاجه بالسياسة التى لاءلاقة لها بغرضنا
من هذا الكتاب كما أنى أهملت من مبحث الدين ما وجدت فائدته
ليست بعامة وبينت فى ذيل كل صفحة موجز تاريخ كثير من الرجال
الواردة أسماؤهم فيها

ويرى المطلع منا على محتويات هذا الكتاب مقدار ما ينقصنا
من دلائل حياة الامم انما يحذر بى أن آيين هنا نقصين عظيمين
منتشرين بيننا وهما الجهل الذى خيم على عقولنا وأوجب احتقارنا
والاستهانة بحقوقنا . والتبذير الذى حل رابطتنا القومية وأبعدنا
عن الاتحاد الذى ننشده . ودواؤهما التعلم والاقتصاد وأرجو
أن تقدر هاتان الكلمتان (التعلم والاقتصاد) حق قدرهما وتبحث
العقول فى أنهما عماد التقدم وعنوان الحياة وانهما أنجع دواء لدائنا
الدفين . وما أفردت الاقتصاد عن العلم الا لعظيم أهميته وجليل
فائدته الجديرة بالالتفات

أرونى أمة بلغت منها * * بغير العلم أو حد الإيمان

لقد أصاب ذلك الشاعر العربي ولكننا لسنا بأمة حربية لنركب
 مطية الأُسنة فليس لنا غير القلم وهو أقوى من السيف في نيل
 المقاصد كما أنه سهل الطريق مضمون المآل لا ينقصنا فيه الا توجيه
 أنظار ثرائنا الى أن الامة جاهلة كثيرة الاحتياج الى التعلم وان عنوان
 الامة أغنياءها وانهم مسئولون عنها أمام الله والناس وان الحكومة
 مهما بذلت جهدها في توسيع نطاق مدارسها لاقدرة لها على تغذية كل
 العقول بلبان معارفها وان التعلم ليس بضرورى لتخريج فقهاء علماء
 بارعين فى الطب والهندسة والمحاماة أو موظفى حكومة فيستصعبون
 الطريق بل لازالة ظلمة الغباوة المنتشرة وتعميم معرفة القراءة والكتابة
 الذى فضحنا فيها التعداد الاخير بين الامم مع تعلم قواعد الدين
 وفضائله وضرورة نشوء كل صبي عليها ثم مبادئ العد وتقويم البلدان
 مع تعلم الزراعة والصناعة والتجارة التى أهملها المصرى زعما منه
 بحقارتها وجهلا بأهميتها

ولا أكون كاذبا اذا وعدت محبى الخير العارفين معنى الحياة الذين
 يعملون على ما بسطت بأن الامة بأسرها ترقى بذلك من حضيض الى
 عال فتحسن الاخلاق ويقل المزورون وينقص عدد المجرمين وتتولد
 الثقة بالنفس فى الاعمال فتزداد الراحة العامة بما لاقدرة للدرهم
 على انالته لنا

وانا معاشر الشرقيين لانعرف من معنى الاعتدال وجهها فلا
 فكرة للغنى الا فى استراة ثروته وتوسيع نطاق دائرته حتى انه
 ليسلك طريقا ممقوتة أو يطمع فى فقير فيميت أسرة بأكلها بسبب

دريهمات لاتغنيه شيئاً مع أن الواجب عليه نفع بني جلدته وتخصيص بعض مامن الله عليه به لبذله في سبيل انهاض حال مواطنيه فيتمتع بلذة ارتباط الجامعة القومية التي تفوق كل المسرات يسير الغنى فان صادف مصرياً هوى به الجهل الى حضيض النقائص كل ما عنده أنه يسب الزمان والمكان ويعدد المصائب التي أنتجها سوء التربية المصرية ولم يدر أن شفاء علته في يديه وأن عنده الدواء لا يمنعه عن الانتفاع به غير الطمع الدنيوى أو اتباع هوى النفس

ان في الغرب لعبرة : يغتنى منهم الرجل ليشاطر بني جلدته البائسين في رقي حالهم وحمايتهم من براثن الجهل فاذا قربت من أحدهم الوفاة تذكر ذلك الواجب وهو على فراش الموت فينص عنه بفضل في وصيته وعندنا الغنى يقضى حياته تعباً في جمع المال وطلب الاستزادة وربما بخل بعضهم على نفسه فأذلها أو على أولاده فلم يربهم التربية اللائقة فينتظرون موته ليجروا بسئ تصرفهم فيما يتركه اللعنة عليه والأذى على الآخرين

« والمرء ظل زائل والعاقل من عمل على أن تكون الحياة لاسمه

وخير وسيلة لذلك خدمة الوطن والانسانية »

نعم ان فينا من نهى الاغنياء من يذكروهم اللسان مرطبا بأى الاحترام والشكر ولكنهم مع ندرتهم لم تتم فيهم شروط الاغنياء فهل استنفض أحدهم هم الآخرين للسعى في لم شعث الامة وترقية حالتها العلمية والأدبية . هل خرجت أقوالهم العظيمة الى

أدنى حدود العمل . هذا ما أتساءل عنه وأرجو أن أكون مخطئاً
في ظني (١)

والمتوسط والفقير سيان يتفقان كل دخلهما أول فأول بل يحتاجان
الى الصرف زيادة وجلهم واقع تحت نير الدين المهيمن يشكون ضيق
ذات اليد . ولعمري انه لهو عين الجنون : لا ترتيب لنا في أحوال
المعيشة ولا فكرة منصرفة الى فائدة الاقتصاد ولا همة في النفس
ترقى الا معرفة كيان الوجود ولا عذر لأحدنا في ذلك ما دمنا نرى
أغلب ما نصرفه فيه الاسراف المفرط . نجنح الى الفسحة فينحط فكرنا
الى أنها لا توجد الا بين جدران منازل أو عموميات محال لافى غريب
صنع الخالق في الارض والسماء وما بينهما من فسيح الفضاء . نميل
الى تحسين ملبسنا فينطق درهما نفرا مضاعفا في أعظم محال تجارة
الأجانب وتترك محال تجارة مواطننا المصرى احتقارا ولا نشعربأننا
بذلك نमित أنفسنا وندمر بلادنا حتى عودنا المصرى الكسل وعدم
اتقان العمل ثم عدنا نزميه بعدم الثقة وخلف الوعد وغير ذلك
من النقائص

ونقيم الافراح والمآتم وننتهزها فرصة لاطهار الفخفة فيقتل
المصرى منا نفسه حبا في الظهور وهو لعمر الحق أحق بما يصرفه
في مثل هذه الوجوه وغير مكلف بما يقتضيه باطلا بل مستحق
لدرهم يجده على الاقل اذا مرض أحد عنده فيصرفه في معالجته ولا
يتركه يموت ضحية وصفات الجهال

(١) كانت هذه نجوى في سنة ١٨٩٩ وقد حقق الله شيئا منها

وانا كسالى لا حديث لنا الا الشكوى من كثرة العمل وهذا عنوان على ضعف القلب ودليل على انحطاط العقل على أننا ما خلقنا الا للعمل كغيرنا والعاقل من يجد سروره فيه ولو فقها لما نعمله واستخلصنا منه فوائده الحققة لأرحنا قلوبنا من عنائها الوهمى

**

ومع هذا فاذا كنا قديسنا من أنفسنا وقطع منا أمل الحياة وقبلنا أن نعيش فى الحضيض وتحملنا ونحز الضمير ولوم الاقلام والاحتقار من العالم المتمدن فلتق الله فى أولادنا ونحسن تربيتهم ونجيد تأديبهم
فقد كثرت بيننا الشكوى من فساد الاولاد ولكنه هو خطؤنا الذى جعلنا كمن ينتظر أن تولد أولاده متأدين علماء حتى لا يحمل النفس عناء واجب التربية

وكلنا يندش عند رؤية ولد صغير من أسرة أوروبية فقيرة أو متوسطة ويقارن حالته بحالة أولادنا ويزيد اندهاشنا عند مناقشته وترقب أحواله نظافة وصحة وعقلا ومعلومات أولية ثابتة فان كان هذا ناشئا عن كون أمه الاوروبية فى حرية تامة تحاديه أينما كان وتراقبه فى كل أموره داخل المنزل وخارجه فلا يسعنا الا موافقة من يقول بضرورة رفع الحجاب ومساواة المرأة بالرجل فى كل أعماله ولكن هذا الفرق ناشئ كما يعلم البصير عن اقتدار الام وحسن تربيتها ومعرفتها قوانين الصحة وقواعد التربية ومراقبتها له فى المنزل وقيام أبيه بمراقبته خارجا لا يتركه مع خادم يقتبس منه سئ الخلق وفساد التربية

وعلى هذا فيجب أن يكون مربو الاطفال أكثر تدينا وأوسع علما وأكمل أدبا عارفين بالقوانين الصحية ووسائل التربية على الفضائل والكمالات لامثل ما نراه في غالب المكاتب الأهلية التي قام بانشائها بعض أولى الفضل مما يزيد في أسفنا ويوقع أبناءنا في شر مما نتحاشاه

وزيادة في الفائدة أذكر هنا من كتاب احياء العلوم للغزالي ملخص مبحث في تربية الأبناء وتحسين أخلاقهم يصلح أن يكون لنا درسا عظيما :

« ان الطريقة في تعليم الصبيان من أهم الامور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يميل به اليه فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في ديناه وآخرته وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وصيانة الصبيان تكون بتأديبهم وتهذيبهم وتعليمهم محاسن الاخلاق وحفظهم من القرناء السوء وعدم تعودهم التنعم وأنه لا تحبب اليهم الزينة وأسباب الرفاهية لئلا يضيعوا وعمرهم في طامها اذا كبروا فيها يكون هلاك الأبد بل ينبغي مراقبتهم من أول أمرهم فلا يستعمل في حضائهم وارضاعهم إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال لان الابن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشوء الصبي انعجت

طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب انجباث^(١) وينبغي على
الوالد دقة ملاحظة نظافة ولده وعليه متى رأى فيه مخايل التمييز أن
يحسن مراقبته وأول مخايل التمييز ظهور الحياء الذى يدل على اعتدال
الاخلاق وصفاء القلب وغير ذلك مما يشير بكمال العقل عند البلوغ
فلا يهمل الوالد وجود هذا الحياء عند الصبي بل يستعين به على تأديبه
وأول ما يجب الاعتناء به هو أن لا يعود الصبي الشره فى الاكل بل
يؤدب فيه بمثل ألا يأخذ الطعام الا بيمينه وأن يقول عليه بسم الله
وألا يبادر اليه قبل غيره أو يحدق النظر فيه ويؤثر طعاما ماعلى آخر
ويعلمه القناعة بأى طعام كان ويقبح اليه كثرة الاكل

واذا أهمل الصبي فى أول نشوئه خرج فى الاغلب ردىء الأخلاق
كذابا حسودا سروقا نماما لحوفا ذا فضول وضحك وكيد ومجانة وانما
يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل فى المكتب فيعلم الدين
وفضائله أولا ثم أحاديث الأخيار وأحوالهم ثم غير ذلك من العلوم
المرغوبة انما يمنع عن الاشتغال بالاشعار التى فيها ذكر العشق وأهله

(١) ذهب الكثير منا الى ارضاع أولاده من غير والدتهم وتركهم للرضعات
وهن بالطبع غير شريفات فالحرمة تموت ولا تأكل بنديها فيخرج الولد كأنه ليس
بولد أبيه خاليا عن شهامة والديه بل ربما تشرب ببغضهما والنفور منهما عدا
مايئب عليه من وضع التربية . واني أعتقد صحة نصيح من كانت زوجاتهم
غير قادرات على الارضاع لضعف فى الصحة أو لاسباب أخرى أن يستعملوا
فى تغذية أولادهم ما ترشد اليه الاطباء كلبن الماعز أو البقر المنخف بالماء المحلى
قليلا أو الدقيق المصنوع بالالبان فى الصيادل الخ لانها تقرب من لبن الام ولا
تكون سببا فى أن تدب فى عروق الصبي جرثومة الفساد وسوء الاخلاق

ويحفظ من الذين يزعمون أنهم أدباء وأن ذلك من الظرف ورقة الطبع . ومتى ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فيكرم عليه ويحازى بما يفرح به وإن خالف ذلك في بعض الأحيان مرة واحدة فيتغافل عنه ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه لأن اظهار ذلك عليه ربما يفيد حسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة وإن عاد فيعاقب سرا ويعظم الأمر فيه ولا يكثر عليه العتاب في كل حين فيهون عليه سماع الملامة ويسقط وقع الكلام من قلبه . وليكن الأب حافظا هيئة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالاب وتزجره عند اللزوم ويجب منعه من النوم نهارا فان ذلك يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا إنما يمنع الفراش اللين حتى تتصلب أعضاؤه وليعود الحشونة في المفروش والمطعم والملبس وينبغي أن يمنع عن كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا ويعتقد أنه قبيح ويعود في بعض النهار المشى والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل وتتقوى عضلاته ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشئ مما يملكه والداه أو من مطاعمه وملابسه بل يعود التواضع والا كرام لكل من عاشره والتلطف معهم في الكلام . ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بداله بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وأن الاخذ دناءة وخسة . وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة ويحذرون منهما أكثر مما يحذر من الحية والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الكبار أيضا . وينبغي أن يعلم آداب الجلوس ويعود الامانة والصدق

ويحرم عليه الكذب ويمنع من الحلف رأسا صدقا كان أم كذبا ويعلم آداب المكالمة وأن يحتمل عقاب معلمه لانه أولى الناس بمحبة نفعه وينبغي أن يؤذن للصبي باللعب لعبا جميلا بعد انتهاء الشغل ليستريح من عناء الدرس بحيث لا يتعب فيه لان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما كالشح عليه بالدرهم وبقضاء لوازمه مما يفسد أخلاقه ويميت قلبه ويبطل ذكاهه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا . وينبغي أن يعلم طاعة واحترام والديه ومن هم أكبر منه سنا ومتى بلغ سن التمييز لايسمح في ترك الدين وتعلم فضائله فان من لا يعتد بدينه ولا يحرص عليه لا يرجى منه خير . فاذا وقع نشوؤه كذلك وقارب البلوغ أمكنه أن يعرف أسرار هذه الامور فيذكر له أن الاطعمة أدوية وان المقصود منها أن يقوى الانسان على العمل وأن حمى الدين وحب الملك والوطن ونفع الناس واجب فيستمر عليها في أدوار تعلمه وطبقات حياته وهي كفيلة له بالنجاح والسعادة في الدنيا والآخرة »

هذا وأرجو أن يكون من نشر هذا الكتاب تغيير في أفكارنا وتنظيم في سير حياتنا أسأله تعالى تحقيق الامل ونجاح العمل فهو حسبنا ونعم الوكيل

القاهرة في ٤ جمادى الثانية سنة ١٣١٧ هجرية حسن رياض

ابن أحمد حاذق

١

الغاية من الحياة

أهم ما في الحياة هو معرفة طرق المعيشة وعجيب من الانسان أنه لا يميل لشيء أكثر من ميله لحفظ حياته ثم لا يجهد النفس في تقويمها . نعم ان النجاح في تقويم الحياة ليس بالامر السهل فقد قال بقراط ^(١) في رأس موجز حكمه الطبية « الحياة قصيرة والعلم لانهاية له والفرصة سريعة الفوات والتجربة خداعة وبت الرأي من الصعوبة بمكان » ولكن السعادة والنجاح في الحياة لا ترتبط بظروف الاحوال بل بأنفسنا فلکم جرّت غلطات الانسان عليه من ضرر لم يأت به إيذاء الغير بل كم دمرت يده من منازل ومدن أكثر مما دمرته العواصف والزلازل فان الدمار على نوعين نوع بيد الزمان ونوع بيد الانسان والثاني منهما يحزننا حقيقة . وقال سنيك ^(٢) « أعدى عدو للانسان كامن في قلبه » وقال لا برير ^(٣) « يستعمل الكثير من الناس

(١) من أشهر حكماء الاقدمين ولد سنة ٤٦٠ ق . م . واشتهر بحبته لوطنه عند مادعاء ارتاكرز رئيس لمعالجة الابعام من الطاعون ورغبه في جزيل المال فرفض قائلا ان الشرف يمنع من خدمة أعداء وطنه

(٢) Sénèque فيلسوف لاتيني تولى منصبا في حكومة نيرون واتهمه بخيانته فخكم عليه بأن يميت نفسه سنة ٦٥ م .

(٣) La Bruyère كاتب فرنساوى شهير في القرن السابع عشر له كتاب في الاخلاق ذو شهرة عظيمة

نصف حياته لتكدير صفو النصف الآخر» وقال ليلي^(١) يحملنا نزق الشباب في الغالب على اقتراف أمور نأسف عليها في الشيخوخة « لان ماضى فات فلا قدرة لكلوتو^(٢) على تجديد نسيج لحمته ولا فى استطاعة أتروپوس^(٣) استرجاعه والانسان كما قال ليسيان^(٤) «مولع بحب النفس غير مراعى فى ذلك سبيل الحكمة»

وقد اتهمت بانى ممن يستصوبون كل شئ نعم ولكنى لم أجهل مرة أو أنكر متاعب الحياة ومشاعلها ولم أقرر أبدا أن جميع الناس سعداء بل كل ماقلته إنه فى قدرتهم اسعاد أنفسهم وان أهملوا الاسباب وفاتهم السعادة فلا ينسب النقص الا اليهم لان أغلبهم يترك فرص اسعاد تمضى أكثر مما يتحينه منها

ولربما كان قول وتير^(٥) الآتى أقسى مما تقدم فقد قال : لاشئ أشد ألما فى كل ماكتب أو نطق به من قول « كان هذا يمكن أن يكون »

وقد نسمى ما جهلنا حقيقته أو جاوزنا فى استعماله الحد ضررا وهو فى الحقيقة نفع كما اذا وضعنا عجلة أو أى جزء من آلة فى غير

(١) Lily راوية انجليزى شهير فى القرن السادس عشر

(٢) Clotho أصغر آلهات المنية وهى التى تنسج حياة الانسان

(٣) Atropos هى من الآلهات المذكورة التى تقطع ذلك النسيج

(٤) Lucien كاتب يونانى شهير فى القرن الثانى مؤلف كتاب « حديث

الاموات » وكتاب « كيف يدون التاريخ »

(٥) Whittier شاعر أمريكى نبغ فى الادبيات ولد فى سنة ١٨٠٧ واشتهر

بمحاربة الاتجار فى الرقيق وله مؤلفات مهمة

موضعه فتتلف الآلة بأكملها كذلك لو كان سيرنا غير مطابق للزمان ولقانون الاجتماع فنانجنى ولاشك عظيم الاسف فى المستقبل والشجاعة متى جاوزت الحد صارت تهورا والمحبة ضعفا والاقتصاد بخلا . ومع ذلك فانه لم يثبت أن أى تغيير فى القوانين الطبيعية يعدّ تحسينا فقد يقع الرجل وتكسر رجله ولكن هذا لا يستتبع أن تغييرا فى قوانين الموازنة يكون محسنا للحالة الحاضرة

وكانت تزعم الفرس أن السعادة تأتينا من أرميز مبدأ الخير والمصائب من أهرمان مصدر الشر ولكن أتعابنا فى الحقيقة نتائج عملا الشخصى ومنشؤها أغلاطنا سواء عن علم وإرادة أو عن جهل وليس هذا السبب الاخير بأقل حصولا من الاول

أما ما ينشأ من أغلاطنا عن علم وإرادة فإن بقلوبنا قوة لا تخطئ فان فعلنا شرا فأنما يكون لان أعيننا قد رأت الشر ولا نكون حينئذ قد اقترطنا إثما بل مجرد طيش اللهم الا اذا كنا قد أغمضنا الجفن كى لا نرى . وما ينشأ من أغلاطنا عن الجهل فلنرجع فيه الى قوة الادراك وهى قوة عقل والدينا واخوتنا الاكبر سنا واخذائنا ثم الى التربية ثم الينا . فانا نربى أنفسنا بعض التربية وكل له من نفسه تلميذ على الاقل يلقنه العلم والادب وما نتعلمه من أنفسنا يكون أقوى ارتباطا بحقيقتنا مما نتعلمه من الغير . ولا تتم تربيتنا باتمنا دروسنا بل توشك أن تبتدى عنده ثم تستمر مدى الحياة وقد قال سنك « ما أكثر حظ الانسان لو شغل عقله بقدر ما يشغل جسمه وأجهد نفسه فى اكتساب الفضيلة كما يفعل للحصول على اللذات »

ومن الناس الجبرى الذى يرى كل شئ فى الدنيا مقررا من قبل وكل ماوجب حصوله لابد صائرا سواء بالرضا أو عدمه ولا يعتبر الانسان الا آلة أو لعبة فى يد قوّة عالية . وما يهم البحث فيه هنا هو معرفة ما اذا كان يوجد علم للحياة أو أنه فى قدرتنا توجيه سيرنا فى لجج محيط الزمن كما نريد أو أننا مرغمون على اتباع تياره

والجواب بديهى فالانسان كما قال تينسون^(١) «مالك لجميع تصرفاته» وإن لم يكن كذلك فاليه على الاقل ينسب الخطأ قال ريشتر^(٢) « يكون المرء حيث يضع نفسه فانه متى وافقت رغبتك ارادة الخالق اجل وعلا بلغت ماتشاء مادمت فى عزمك قويا ثابتا » . وحيث انه فى امكاننا التصرف فيما هو مقسوم لنا فخرى بنا الوقوف على ما نريد أن نكون وكيف نتمتع حقيقة بميراث الحياة العظيم

فمن الناس من له غاية فى هذه الحياة ومنهم من ليست له تلك الغاية أول ما يجب الشخص الىه هو استخلاص أعظم وأسمى فائدة من نفسنا . ومن قول همبولد^(٣) « أول واجب على كل حى تقوية مواهبه بصفة تامة مستحسنة ليرقى بذلك الى أجلي وأسمى مظهر لتمام حقيقته » وقال ريشتر « هو أن يستخلص من نفسه كل مااحتوته

(١) Tennyson. Enid. شاعر انجليزى فى القرن التاسع عشر

(٢) Jean – Paul Richter من مشاهير كتاب الالمانيين وفلاسفتهم

(١٧٦٣ – ١٨٢٥)

(٣) Humboldt عالم ومؤرخ طبيعى شهير من بروسيا ومن رجال حكومتها

(١٧٦٧ – ١٨٣٥) ومن مؤلفاته كتاب بهجة الدنيا (Cosmos)

طبيعته التي فطر عليها « الا أنه لا يليق قصر العمل على الفائدة الشخصية والا كان الفشل محققا فقد بين بيكون^(١) » ان النجاح الشخصى لا يعد غاية للحياة « ولا يتصور أن مثل افلاطون وارسطو وغيرهما من أعظم القدماء كانوا ممن يقصرون أعمالهم على كمالهم الخاص

وانى أعتقد فى حكم المقرر أن فى اشتغالنا بكمالنا الشخصى فائدة الغير وأود أن يعرف الناس أجمعين مقدار هذه الفائدة والموعظة العامة اليونانية^(٢) «اعرف ما فى نفسك» تظهر لنا أهمية معرفة الانسان نفسه وصعوبة ذلك عليه وقد قال مونتيني^(٣) بعبارة السلسلة « لم أجد فى العالم طرا نحيفا ولا معجزا أكثر ارتباطا بى من نفسى »

وبذل النصيح لم يكن للآن بالشئ المفيد وانى لأنسى التجربة المحزنة التى قام بها أحد المتدينين فى زيلاندا الجديدة فقد قال رئيس قبيلة بها لأحد المبشرين إنه لكثرة نصائحهم اضطررنا أن نأكله لنسكته ومع ذلك فانه كما قال ليلى^(٤) «من لا يريد قبول النصيحة التى لا تكلفه شيئا فانه يشتري الأسف فى المستقبل غاليا » وغرضى هنا أن أبين بعض

(١) Bacon متشرع وفيلسوف انجليزى فى القرن السادس عشر

(٢) γνῶθι σεαυτόν (اغنوثى سىفاستون)

(٣) Montaigne من مشاهير كتاب الفرنسيس فى القرن السادس عشر وهو صاحب كتاب التجارب (Les Essais)

(٤) Lily رواية انجليزى شهيرة له عدة سياحات فى بلاد الشرق وأسس مدرسة لغات القدمة فى إنجلترا وله حملة مؤلفات (١٤٦٨ - ١٥٢٢)

النصائح النافعة لمن يريدون أن يكونوا على شئ أو يعملوا عملا في الحياة أو يستخلصوا من أنفسهم ومن حياتهم أعظم ما يستطاع من الفائدة :
لا يحزن الانسان أكثر من رؤيته يضيع الفرص التي أتت له
فلكم من سعادة كنا نهيتها للغير اذا جعلناه ينتفع بالاموال التي نضيعها
عبثا أو التي لم نعرف كيف ننتفع بها
ولنبحث فيما اذا كانت مسراتنا حقيقية أو وهمية :

إنا نبرر كثيرا مما قيل لنا انه من المسرات وكنا نجتنبه لو أعطى
له غير هذا الاسم ويرى العدد العظيم أنه يلهو لكونه لم يرفأدة فيما
يعمل وآخرون يظنون السرور الحسى هو الموجود وحده
على أن سرور العقل هو في الحقيقة الافضل والدائم في آن واحد
ونهمل جسمنا ونقوضه بغير ما التفات وليس لنا جسم غيره وبه
ترتبط صحة العقل . ولا نعرف التمتع بنصف السرور الذى نجده
في الفنون الجميلة فكم بعهدك عدد زائرى متحف اللوفر من الباريسيين
ولانهم بمعرفة فوائد العلوم ونهمل مزايا التمتع بعجائب الكائنات
في الارض والسماء والقليل يجد سرورا في الموسيقى ولكنه نزر يسير .
ثم نفتخر بعد ذلك بأننا المميزون بالعقل على أن هذا العقل الذى نتبه
به عجباً لانعرف كيف نستخدمه في إنماء سعادتنا

ولندكر هنا ما قاله بسطاء الفلاسفة « لا ينبغي أن يكون العقل بعد
كل اعتبار ميراثا مضرأ أو منبعا للآلام بل مصدرا للبهجة والسرور »
ففيه عظة للتذكير

ولا تعرف العجماوات مواقع انشغالنا فالرجل يسير في ظل زائل يقتل نفسه بالظنون والمخاوف والاحزان وونخر الضمير وتحيط به الأوهام من كل جانب ولوثرنا لها فان المقاومة لاتجدى نفعا . وانشغال البال ولو أنه محض عبث الا أن الاستهتار خطر فعلينا الاهتمام بكل شئ حتى بما نحسن معرفته فان الخطأ يحادينا من كل صوب ولنعلم كما قال السير براون (١) « انه بالرغم عن كل معائب هذه الدنيا فان الخالق الرحيم لم يرد أن نكون أشقياء من أول وهلة بل يلزمنا لتمام إضلال أنفسنا زمن طويل وتعب كثير اذ لا يتصور أن تقع من أعلى شريف الخصال مرة واحدة كما وقع فيلكان (٢) من السماء في يوم واحد » أما اذا تركنا الافراد وبحثنا في الأمم فانه يدهشنا مقدار إهمالنا لما فيه خيرنا . وحرى بالعموم أن يقول كما قال نيوتون (٣) « إنا كأطفال صغار يلعبون على شاطئ البحار ويجمعون من وقت لآخر قوقعات مضيئة أو يتلهون بنظر حشيشة غريبة وأمامهم محيط الحقائق الفسيح لا يزال مجهولا » فإمن مادة واحدة نعرف كنه حقيقتها

(١) Sir T. Browne من مشاهير الفلاسفة الانجليز الذين اشتهروا في العاديات والطبيعات وهو واضع كتاب ديانة الحكيم في العقائد والآداب الدينية (١٦٥٥ — ١٦٨٢)

(٢) Vulcain اسم لابن المشتري من آلهة القدماء ولد مشوها فآلقته أمه من أعلى أولامبيا الى جزيرة لينوس فكسرت رجله واستوطن بجوار بركان اتنا ثم اشتغل في الحدادة وهو اله النار

(٣) Newton من أعظم علماء الانجليز وهو الذي اكتشف قوانين الجذب العامة (١٦٤٢ — ١٧٢٧)

وتمام فوائدها . ونشتغل من الصباح للمساء ولو عرفنا على الاقل خواص المادة أو استعمال جميع القوى الطبيعية لكان من الجائز ألا كتفاء بساعة أو اثنتين كل يوم للقيام بجميع ضرورياتنا ولبقى لنا الزمن الكافى لتقوية مداركنا وإيفاء ما يحتاج قلوبنا . وقد اخترع البخار وما انتفعنا بكل فوائده وكان استعمال الكهرباء منذ خمسين سنة مجهولا وما انتفعنا منها اليوم الا قليلا وقوة تيارات الانهر قوة معدومة عندنا ولكم من آلام كانت لاتصيب الانسان لو اكتشفت الاجزاء المخدرة قبل الان ولايكفى مجلد لشرح ما يؤيد قولنا انما لا يختلف اثنان فى أن آلافا من الاكتشافات على وشك الظهور

أليس من المدهش أيضا أن نرى الامم التى تدعى النصرانية تصرف القناطير المقنطرة فى جلب دمار يعمها وتتضارب كالحوانات المفترسة لنيل جزء من مستعمرة وأمامها محيط الحقائق ممتد غير مكتشف ؟ وقد كان مسلما منذ قرن أن نرى نصف الاطفال ينشأ ويشب غير متعلم القراءة والكتابة ولكننا نرى اليوم كثيرا يذمون التوسع فى التعليم خصوصا فيما لا يرتبط مباشرة بالحياة والبعض يستكثرون ما يصرف على المدارس ولم يروا أن الجهل يستنفد أكثر مما ينفق فى سبيل العلم

وتلتقط أولادنا الآن وشائظ التربية . ولكل حق السؤال عما اذا كانت الخطة التى نتبعها فى التربية هى الجيدة ولا أريد شرح هذا الموضوع هنا مكثفيا بتنبيه الافكار الى اهمالنا التربية الأدبية فى مدارسنا

وخلاصة ماتقدم أننا اذا لم نعمل بوصايا الخالق نقترف بلا شك وزرا عظيما وتكون كل أعمالنا مجلبة لأذى الغير وأن في العمل بها التمتع بالسعادة الحقيقية في هذه الحياة

وحب النفس والتطرف في الامور والكسل والنقائص الاخرى المقوتة لذاتها قد تكون أحيانا بالنسبة اليها مصدرا للسرور ولكنها مضرّة بالغير ولا يبحث عن مثل هذه اللذات الا كل من لا هم لهم الا أنفسهم ومن الناس من يقولون عن الفضيلة وتقوى القلوب (وهي صفات عالية في ذاتها) انها توجب اجتناب الملاهي حتى الشريفة منها وانها تؤدي بنا الى زهد مستديم . والعكس هو الصواب لأن النقيصة لا تكاد تخلو من ضغط وقيود حتى ان الشقي ليسقط في مهين الاسترقاق وهو استرقاق الشهوات

وكثير من الشبان يتخيلون في النقيصة شيئا من الشهامة على أن الاكثر حقا وضعفا من بني الانسان قادر أن يكون من ذوى النقائص ألا انما الفضيلة هي الشهامة الحققة وفيها الحرية الحقيقية وفي النقيصة حقيقى الاسترقاق ولئن نشأ عن انقلاب غير منتظر أن تبدل الشر خيرا فعلى السعادة والراحة في هذا الوجود العفاء

ولا أريد ذكر رأى علماء الدين تعزير لما أقوله من أن الشر والآلام لا يفترقان ولكنى أستحسن الاستعانة بشهادة خير هو اللورد شيلستر فيلد (١) فانه اختتم إحدى رسائل نصائحه لولده بقوله «هذه هي

(١) Lord Chesterfield من رجال حكومة انجلترا ومن مشاهير كتابها (سنة ١٦٩٤ — ١٧٧٣) له كتاب في رسائله لولده اشتهر بالبلاغة ودقيق المعنى

المكافأة التي لا بد أن تهبا الفضيلة وهذه هي الاخلاق التي يجب اعتيادك عليها ان أردت أن تكون رجلا صالحا من كبار الرجال لان السعادة لاتنال إلا بهذا الثمن»

وقد حصر ديكارت (١) طرق المعيشة في أربع قواعد فقال :

(١) طاعتي لقوانين وعوائد البلاد والتمسك بالدين الذي من الله على بأن أنشأ فيه

(٢) أن أكون في أعمالي كثير الحزم والثبات قدر ما أستطيع

(٣) أن أجتهد في إخضاع نفسي قبل التغلب على الثروة

(٤) أن أستعمل كامل حياتي في التقدم بقدر امكاني وفي معرفة الحقيقة

والمحبون لأنفسهم أو عديمو التمييز والاشقياء ليسوا وحدهم الذين يجلبون بأعمالهم المخجلة المصائب لأنفسهم ولغيرهم بل يجب أن نعرف رجالا ذوي همم وكتبا نفيسة مفعمة بحسن المقاصد يقعون في نفس الخطأ بعدم تمييزهم بين المسرات وما يخل بالآداب ولكونهم وصفوا الفضيلة بالزهد المستديم واعتبروا التقشف هو الدين ولا مثال أوقع في النفس من محكة التفتيش فكثير من رجالها كانوا بلا ريب على جانب عظيم من الفضل والتقوى ولكنهم أخطؤا كل الخطأ في معرفة

(١) Descartes فيلسوف في الطبيعة وهندسي من مشاهير فرنسا كثير الاكتشافات العلمية وهو مؤسس علم النفس الحديث وصاحب المبدأ المشهور (إذا أردت الوصول للحقيقة في الحياة يلزمك منافضة افكار من سبق) وله مؤلفات نقي ومات في استكهولم حيث كانت طلبته الملكة كرسينا (١٥٩٦ — ١٦٥٠)

حقيقة النصرانية . وقد نرى كثيرا من كبار الرجال يعتبر كل ما يسر معصية وأن حقيقة الدين كلها تقشف وأحزان وإماتة للنفس وأن الكون المضى المنتشرة فيه الشمس والبهجة ضرر لاهبة وتحريض من الشيطان لامنوع عظيم للسرور الذى من علينا به رب الخيرات . قال كوبر (١) « أن طريق الألم هو الذى يوصل وحده الى الدار التى لا ألم بها » نعم انه لا يمكننا اجتياز طريق الحياة بدون معاناة اتعاب فكل ضوء يرمى ظلالا وبصرف النظر أيضا عن الاحزان التى لا يمكننا دفعها والتى أوجبتها علينا حدود الحياة الضيقة كفقد من نحب مثلا فان حياتنا مرتبكة والناس لا تجربة عندهم وبسبب جهلنا حقيقتنا وعدم معرفة أصل المادة وخواصها ولا القوة التى تحيط بنا قد استهدفنا أنفسنا لكثير من الآلام والمتاعب . انما ما أوضحه كوبر من أن طريق الألم يوصل وحده للجنة وأن الحياة السعيدة فى الارض نصيبها الآلام فى الآخرة هو محض خطأ آذى النفوس الرقيقة بما أزعجها به وبما ملأها من الشك وعدم الاطمئنان فكم من شاب بهج يعرف توبيخ الضمير ذم السعادة التى يجب عليه شكرها . وكوبر بعيد عن تحقيق فكرته وهو كما قال ما كولى (٢) « من الذين يحرمون سباق الشيران ومناظرة الديكة لالسبب تألم الحيوانات انما لكونها تسر الناظرين » وكثير منا يتأوه ويتضرع لعدم فهمه حقيقة الوجود نعم ان الرجل

(١) Cowper من مشاهير الامريكان (١٧٨٩ — ١٨٥١)

(٢) Macaulay مؤرخ ورجل سياى انجليزى شهر عطر بد كرفضائله تاريخ

انجلترا وله مؤلفات تاريخية كثيرة (١٨٠٠ — ١٨٥٩)

الصالح يتألم أحيانا من تركيب هذه الدنيا التي تخزنه غالباً ولكن تأكد أن ليس يشكو منها رجل عمل واجبه وكما قال سنيك «ليس من واجب يتم يقصر عن إسعادنا ولا من غواية ليس لها من علاج» وقال ميلتون ^(١) «لا تهم الطبيعة فانها قامت لك بواجبها وما عليك الا القيام بواجبك» ولم يخلق الله في الكون الاسرور لأعيننا ونغمات لآذاننا ويكاد يستحيل علينا تقدير الراحة التي يسببها الانسان للغير أو السرور الذي يستخلصه لنفسه اذا سلك في حياته طريقاً صالحاً فاذا كان هذا القرن حقيقة كما نطن أحسن القرون وأكثرها علماً يلزمنا شكر حسن حظنا بغير ما نخار بل نهنيء النفس به بسرور خالص عن الكبر والاعجاب . وعليه فيلزمنا التمتع تماماً وبكل شكر بمحاسن الحياة كما يجب الاستعداد لملاقاة الاحزان والمتاعب وقد قال والبول ^(٢) «الحياة رواية مضحكة للتأمل ومحنة لمن يشعرون» وانما تحزن حقيقة في بعض الاحيان وتقرب في كثيرها من المضحكات ولكنها تكون في الغالب كما نريد وقال سقراط ^(٣) «ليس من ضرر يصيب العاقل في الحياة أو الملمات» لان أنبياء الحق بلا شك أسعد حظاً من دعاة الشر

(١) Milton شاعر انجليزي شهير كان كاتب سر كرمويل وبعد موته عاش معتكفا بهداره

ولما فقدت عيناه أملى على زوجته كتاب (النعم المفقود) (١٦٠٨ — ١٦٧٤)

(٢) Walpole من مشاهير رجال حكومة الانجليز (سنة ١٦٧٦

— ١٧٤٥)

(٣) Socrate من أشهر فلاسفة قدماء اليونان وكانت كل تعاليمه محاضرة

وبعد أن خدم وطنه جليل الخدمات وثني به فأعطوه سماتر به بكل سكون

ومات (٤٦٨ — ٣٩٩ ق م)

وانا نفقد سنىّ سرور ثم نقاسى بصبر فى كل لحظة كثير الخطوب والآلام ! ولا ينتظر أحد أن يصيب فى كل مرمى فان الطبيعة نفسها تخطف أحيانا انما كما يقال « لاتتماد غيا فى طريق الثروة والسعادة ولا تئاس أبدا من حسن الحظ عند قيام الموانع » وزى فى التوراة « أن الباب الفسيح والطريق المتسع يؤدى الى التيه وكثير منه يدخلون وان الباب الصغير والطريق الضيق يوصل للحياة وقليل من يجده » ولكنى أخطئ ما يستنتجه البعض من هذه العبارة فانها تعلمنا أن طريق الحياة ليس بخطر ولا بصعب بل هو ضيق وصعب على من يجده وان ليس للحياة فى الحقيقة غير طريق مستقيم واحد ولكن طرق الفساد كثيرة مثل ذلك كسفينة فى البحر ليس لها سوى خط سير يوصلها للغرض وكل الطرق الاخرى تبعدها عن المرفأ المقصود انما لا يتبع ذلك كما يظنه البعض ان الطريق القويم يكون حافلا بالصخور والزوابع أكثر من غيره

ولا ينكر أحد أن الشر والحماقة يكونان أحيانا من الصفات المرغوبة لها مسرة وقتية انما نكون فى هذه الحالة كمن اشترى سرورا وقتيا بألم مستمر وريح قليلا بفقد كثير وكسب سرور ساعة بثمن سنىّ أسف ولا نبلغ السعادة فى هذه الحياة الا باتباع طريق الخير فسرور الزهد أسمى بكثير من سرور حب النفس والسعادة والغنى لا يستويان ولكم ممن توفرت لهم الثروة يعيشون تعساء . نعم ان الدرهم يمكن كثيرا ولكن الارادة الحية هى التى تجعل الانسان بهباتها على الدوام مسرورا

وقد قال دير (١) « لى من نفسى مملكة حقيقية تكسبنى فى كل آن أعظم المسرات » وليس فى وسع الجميع الحصول على الثروة والاعمال أوعلى الوظائف والرتب ولكنه فى استطاعتنا جميعا أن نكون شرفاء كرماء عقلاء. والثروة الحقيقية ليست بما نملكه من المتاع ولكنها بما فى النفوس وكل المكاسب التى نحصل عليها ونتمتع بها توجب المسؤولية وحياتنا الدنيا كما قال كريسوستوم « فصل تشخيص وأعمال الانسان خيالية وكل مميزاته كال فقر والغنى والسلطة والاستثثار ليست الا عوارض ظاهرية وبعد هذه الحياة يرفع الستار وتكشف الوجوه المحتجة ويحكم الكل بأعماله لا بموجب ثروته ووظائفه وامتيازاته وقدرته »

ندعو الله أن يجعل ما تقدمه مقبولا يوم الدين يوم لا تؤخذ على ما نستغل به أوعلى ما بأيدينا بل على ما فى نياتنا. يوم يظهر جليا أن الحياة الصالحة هى السعيدة حقا وأن الذين يرتكبون المعاصى ويؤثرون أنفسهم هم الذين يسامون العذاب

وقد ورد فى أمثال سيدنا سليمان قوله لولده « لاتنس يا بنى تعليماتى لك وليحفظ قلبك وصاياى فانها تطيل عمرك وتزيد سعادتك »

٢

(فى الذوق السليم)

ان الذوق السليم لاهم ما يلزم للنجاح فى هذه الحياة وما المعرفة والبراعة بأكثر منه ضرورة ومن لم يكن مناعنده ذلك الذوق فطرة لا يناله بسهولة

(١) Dyer فيلسوف وشاعر امريكى فى القرن الثامن عشر اشتهر بحبه للانسانية

انما يمكننا الحصول على بعضه بدقيق مراعاة رغبات الغير فتحين
أقل فرصة يتيسر لك فيها أن تسر الغير وعامل الناس بأدب فكما
قالت السيدة مونتاج^(١) « لا يكاف الادب طالبه شيئا بل يكسبه كثيرا
وينيله ما يصعب الوصول اليه أحيانا بالدرهم » وابدل الجهد في استمالة
القلوب اليك فقد قال اللورد بيرلى الى الملكة إليزابيث^(٢) « تملكى قلوب
رعيتك بحسن المعاملة تكن دراهمهم أيضا في قبضتك » ولطالما نجح
الكثير بذوقه السليم في مقاصد يصعب عايه بلوغها بالعنف ولا يجهل
أحد ما قاله لافونتين في قصة الشمس والريح^(٣) وانه ليسهل استخدام
الناس باللين ولكنه يصعب ذلك باكراههم على أى عمل . ولا قاعدة
في السياسة أضمن من تجنب استعمال السلطة لان استجلاب القلوب
على العموم أفيد بكثير من إخضاعها وقال شكسبير^(٤) « ما تريد نيله
بالارهاب سهل عليك بلوغه بالابتسام »

وينبغي أن تكسب باستحقاقك ثقة معاشريك فقد ساد كثيرون
بحسن اخلاقهم وبلغوا مناصب يعز نيلها على أمثالهم

(١) Lady Montague سيدة انجليزية اشتهرت بسعة علمها ووفرة عقلها
ورائق جمالها (١٦٩٠ — ١٧٦٢)

(٢) Lord Burleigh من رجال حكومة انجلترا مدة حكم الملكة اليزابيث
بنت هنرى الثامن (١٥٣٣ — ١٦٠٣)

(٣) Phoebus et Borée يقصد منها خلاصة حكمها القائلة (ينال
بالطف مالا ينال بالعنف)

(٤) Shakespeare شاعر ورواية انجليزي عظيم الشهرة وله مؤلفات جليلة
تقضّر الانجليز ببلاغتها ودقة معانيها (١٥٦٤ — ١٦١٦)

ومتى أجازت لك الحكمة والعدل إجابة مطلب بادر به والا فلا تخش أن تقول « لا » فكل الناس يعرفون « نعم » ولو أنهم لا يحسنون في الغالب قولها ولكنه من الصعب جدا معرفة قول لا بل كم من ثروة بددت بسبب هذا النقص فقد قال بليطارق (١) « لم تقع أهالي آسيا الصغرى في مهين الاسترقاق الا لعدم معرفتهم قول لا »

ومادام الرفض محتملا وجب معرفة التلطف فيه لنجعل كل من له ارتباط بنا مسرورا من معاملتنا راغبا في دوامها ولمراعاة الاحساس حظ عظيم في المعاملة وما من رجل لا تؤثر فيه المجاملة والآداب بل كم من مقاصد بلغها الانسان بالتودد والتحجب وما كان الدرهم وحده بقادر على الفوز بها

وفي مقدرتنا جميعا أن نكون محبوبين ولا يكلفنا ذلك غير الرغبة الحية اللازمة لنا في كل آن : قال شيلستر فيلد « من صدقت رغبته في استجلاب محبة الناس له نال مقصده لاحالة ومن لم تكن عنده تلك الرغبة لا يكون محبوبا أبدا » ومن لم يوفق في شبابه لبلوغ هذه المنحة الجليلة عسرت عليه بعد فكم من رجل نجح بمهارته مع نقص صفاته وكم من عظيم ذى قلب طاهر ونية حسنة صير الناس أعداء له بخشونته في المعاملة . فاعمل على أن تكون محبوبا وهذا لا يفقدك شيئا بل يكسبك سرورا ينشرح به صدرك في كل آن

وكن بصيرا ثابت الجأش فكما أنه ضرورى لك أن تكون ذا ذكاء

(١) Plutarque شاعر يوناني أديب تسوّح كثيرا في آسيا وفي مصر

وله كتاب في ترجمة حياة رجال اليونان والرومان (٥٠ — ١٢٠)

ودراية ضرورى لك أيضا أن تكون قوى القلب متوقفة القريحة
فالخزم الخزم والثبات الثبات فانهما من أنفس الفضائل وفيهما
سلامتك في وقت الاخطار والمصاعب

ولا تحتقر من دونك فمالك في ذلك من حق ولا تفاخر بقوة عقلك
أو بالثروة التي ورثتها عن آبائك بل عليك أن تحسن الانتفاع بهما
واعلم أن الناس لا يظهرون دائما كل ما في نفوسهم وأن معرفة ما في الكتب
أسهل بكثير من اكتشاف ما في النفوس وإن أعظم ما يرجع إليه
في مثل ذلك هي العيون : قال إيمرسون (١) «عند ما تختلف العين
واللسان في شئ فاللبيب لا يعتمد الا على ما تشير اليه العين»

ولا تركز كثيرا الى الاشغال التي ترجو من ورائها طائل المكسب ولا ينبغي
أن يحب الرجل الرجل لأول وهلة ولا المرأة المرأة كذلك فاذا أظهر
لك أحد ممن قرب عهد صحبتك به أنه لين العريكة صادق الوعد
لا تثق بقوله ثقة عمياء ولو كان مخلصا لان اللسان في الغالب يسبق
كثيرا ما في النفس بل ربما كانت له فائدة في اكتساب ثقتك فلا
تتعجل في مصادقة كل من يظهر لك الود ولا في بغض من توهمت
فيه العدا

وكيف نفتخر بأننا عتلاء نبهاء ونقول إن العقل رائد الانسان ثم
نرى أسباب عدم الارتباط وغرائب المستغربات متحركة فينا وأن
أعمالنا لا أساس لها في الغالب الا مجرد أوهام وتطوّحات أميال !

(١) Emerson فيلسوف وشاعر أمريكي اشتهر بمحبته للانسانية وله مؤلفات

واذا راعيت احساس الناس في كلامك كان تأثيره أعظم مما اذا راعيت فيه العقول ويتجلى صدق ذلك اذا كان الموضوع يعنى مجموعا من الناس والمناقشة دائما موردة الخطر تؤدي في الغالب الى سوء التفاهم والبغضاء وربما أفقدت كلمة واحدة صاحبها عزيزا فاذا اضطرت للدخول في مناقشة تجاوز ما أمكنك واجتهد أن تثبت أمرا مهما يكون أهمل من الموضوع

وقليل من تقتنعهم المناقشة لان الاقرار بالغلبة صعب على النفس وأقل منهم من يقتنع متى غلب فما دام الاقناع بالحجج لا يأتى في الغالب بتمام الفائدة فظهر أدلتك بكل اختصار ووضوح وبما عززت بذلك يقين مناظرك وهو كل ما ترجوه

والمحادثة علم وليست العقول النيرة هي التي تنجح فيه وحدها والالتفات لا يقل كثيرا عن حسن المحادثة صعوبة وأهمية فلا تنتقد كل ما تسمعه وارجئ حكمك حتى تدرك جيدا احساسات مخاطبك واذا أظهرت نفسك بمظهر المجامل الالوف تستنصحك الناس وينشرح صدرك من رؤيتك قد عزيت من رزؤا بخطب أو واسيت من داخلهم عدم اطمئنان

ولا تنتظر أن يشار اليك بالبنان وأنت شاب بل اصنع وع وانظر كل ما يحصل لان المتفرجين هم الذين يرون المعارك أجلى من غيرهم. ولهما كنت في خفية عن الابصار زادت فائدتك وكنت كمن ملك طلاس السحر الخرافية التي تجعل الانسان مستورا عن الأنظار ولتسترح من تعب الانشغال بالظهور فلكم أضنى من خلائق والناس لا تقصر

عن تقديرك حق قدرك فقد قال لابرير «قيمة المرء ما يحسنه»
ولا تتخذ لك اعداء فان هذا بأس ما حصلت وفي الامثال «لا تجب
المجنون على جنونه لئلا تكون مثله» وتذكر أن الجواب اللطيف يطفئ
التهيج وأن الجواب المترأسهل على النفس من الازدراء والسخرية
وتسعة في عشرة من الناس يفضلون مذمتهم بل الاضرار بهم على الاستهزاء
فسرعان ما ينسون كل ماعداه وسهل على النفس تحمل خطاياها
من أن تنبه اليه من الغير فانه لما جنّ تراسيلوس اليوناني توهم جميع سفن يريه
ملكه ولما شفاه كريتون (١) تذر منه بدعوى أنه هو الذي سرقه متاعه
ولا تتهم الناس بالتقصير في حقك ولا تتوهم أنهم يهزأون بك فتكون
كسكروب الذي قال « اني متأكد أن هؤلاء يتكلمون عني لانهم
يقهقهون » فلا تغضب اذا رأيت أحدا يضحك منك بل اضحك معه
بقلب خالص متى أمكنتك فكل الناس يحبون من يعرف أن يضحك
من أضحوكات هو موضوعها وهذا في الحقيقة دليل على حسن الطبع
وسلامة العقل . واذا كنت أول من يضحك من سخرياتك قلل الباقون
من الضحك فاستمر بثبات فيما شرعت فيه ولو استهزأ البعض بك
ولكن لا ضرر عليك من ذلك اذ لاحطة في ظهور الانسان بحقيقته
بل الحطة في ظهوره بغير ما هو عليه . وكن حرا بحيث لا يمنعك ذلك
عن الاحتراس ولا تتكلم كثيرا عن نفسك سواء في صالحك أو
لضدك واترك الناس يتكلمون عن أنفسهم بما يشتهون فانما يفعلون
ذلك لانشراحهم منه وكلما أظهرت لهم زيادة رغبة في الاصغاء

(١) Criton من مشاهير أغنياء قدماء اليونان اشتهر بصحبته لسقراط

اليهم زادت محبتك عندهم
ولاتر الناس أنهم سفهاء أو مجردون عن العقل اللهم الا اذا اضطرك
واجبك لذلك والا كان لهم حق الشكوى منك وربما كنت مخطئا
في حكمك فترمى بحق بما رميتهم به

هذا فيما يختص بشخص واحد ويا الصعوبة اذا ما وجه لأمة: قال
بورك^(١) «انه ليستحيل على أن أخطئ أمة اذ لا شيء أشد ظلما واكثر
حقا من اتهم فرقة بأسرها» لان الاشخاص ربما تنسى أو تسامح بخلاف
الجموع ومع ذلك فاذا تجاوزت الاشخاص عن خطأ فانها لا تسامح اهانة
ولا شيء آلم من التشنيع ولست بنائل بغيتك اذا سخرت من الناس
وشنعت بهم

وقد مدح جوث^(٢) الانجليز في محاوره له مع إيكارمان^(٣) فقال
«ان طريق ظهورهم وسلوكهم في الحياة لمفعم بالثقة والسهولة بحال
يظن معها أنهم الرؤساء أينما حلوا وان الدنيا في حوزتهم فاجابه إيكارمان
واني لا أؤكد رغما عن ذلك أن شبان الانجليز من أهل ويمرأشد ذكاء
وأكثر تعلما واخلاصا من شبان المانيا فأجابه جوث «ليس هذا
مدار البحث أيها الصديق لان ذلك لا ينشأ عن الاصل أو الثروة انما
الذي يميز الانجليز هو اقتدارهم على الظهور بما جبلوا عليه طبعاً

(١) Burke من مشاهير خطباء انجلترا (١٧٣٠ — ١٧٩٧)

(٢) Goethe أشهر شعراء المانيا وله كثير من المؤلفات المفيدة (١٧٤٩ — ١٨٣٣)

(٣) Eckermann من علماء الادب في المانيا اشتهر بصحبته مع جوث

وله كتاب في محاوراته معه ومؤلفات أخرى (١٧٩٢ — ١٨٥٤)

وليس فيهم من نقص يقال بل هم الحلقة التامة ولا أنكر أنهم شديدي
الحق أحيانا بل أقرك به ولكن هذا له نصيب من الأهمية أيضا»
واستعمل الصبر والجلد في جميع أعمالك ومشروعاتك واعلم أن كثيرا
من الناس يفضلون أن تصغى لما يقولونه بالتفات على أن تبلغهم حاجتهم
ولكم من عدو أوجب عليه الملل ترك المقاومة ولا تغضب أبدا وتعلم
بأى وسيلة حكم نفسك والسكوت عند الحاجة فقد ورد في الامثال
« امنع غضبك واترك حديثك » ولا تثر غضبك خصوصا لعمل
مضرة وتذكر أن الجواب اللين يسكن الحدة وان الكلام العنيف
يذكي لهيب الغضب

ولاتبقي بمجلس لا يحتاج لك فيه فمحال الاحتياج اليك ليست
بقليلة : روى سيلدن^(١) عن جاك الاول^(٢) أنه قال لذبابة وقعت على
عينه « أليس لي من فسيح الممالك ثلاثة حتى لا تجدى غير عيني
تقعين عليها »

ومن الناس من يظهرون أنهم منحوا هبة كثرة التكلم فيما
لا فائدة فيه وهم بذلك يحبون أليم التذكار عندنا واختلاف
الرأى بيننا

ولا علم أكثر ضرورة من علم معرفة الناس لانه يهمننا كثيرا التبصر في
معرفة من يجب الثقة به أو الابتعاد عنه وما حدود هذه الثقة وطرقها ومن

(١) Selden من مشاهير كتاب الانجليز (١٥٨٤ — ١٦٥٤)

(٢) Jacques I ابن ماري استوارت وكان ملك ايكوسيا وبريطانيا العظمى

(١٥٦٧ — ١٦٢٥)

الذين يفضل انتقاؤهم لمساعدتنا في الاعمال من نتفق معهم في المقاصد :
قال كونفيسوس (١) « اذا لم تثق بأحد فلا تستخدمه وان استخدمته
لزمته الثقة به » وفي الواقع فان الثقة بمن عرفناه لأصوب بكثير
من عدمها انما يلزم أن تكون ثقة تامة غير عمياء . وكن رزينا ميالا للسكينة
وان كنت مكثارا فلا تلم الغير على ذلك وفي الامثال « لسان العاقل
من وراء قلبه وقلب الاحق من وراء لسانه فهو يرفع عقيرته بكل ما يعرف
أو يمر له على خاطر »

واستعمل العقل في كل قول وعمل واستشر الحاكمة ولو أنها
غير معصومة من الخطأ الا أنها تبعدك عن كثير منه وفي الامثال
« اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب »

وكثير يتكلمون حبا في الكلام لا للغزارة أفكارهم على أن موضوع
الكلام تمرين العقل لا تحريك اللسان وكثيرا ما أسقطت اطالة الكلام
وحبه وقعه من القلوب : قال بيتلر (٢) « قد تأخذ الرجال حمية الخطابة
فيقولون أكثر مما يريدون وهذا التسرع الزائد وعدم الاحتراس في القول من
أعظم أسباب الملل الكثير والمتاعب » وقال لا بريير « من أعظم المصائب
وجود عقل لا يساعد على التكلم أو حكمة لا تشمل السكوت » وقال بليطارق
« لما سئل ديمارات (٣) في محفل عما اذا كان سكوته عن كبر أو عن نقص

(١) Confucius أشهر فلاسفة بلاد الصين وقد أسس لهم دينا على قواعد

الادب (٥٥١ — ٤٧٩ ق م)

(٢) Butler من مشاهير شعراء الانجليز (١٦١٢ — ١٦٨٠)

(٣) Demarate ملك اسبارته (٥١٠ — ٤٩١ ق م)

في الكلام كان جوابه : « انما الاحق هو الذى لا يعرف السكوت »
وقال سيدنا سليمان « أرأيت الرجل الذى يتهوس فى خطابه ؟ انه
ليرجى من أحق أكثر مما يؤمل فيه »

ولا تعمل لاثبات رأسك اذ لاشئ يغضب الناس أكثر من
الشعور بأنهم أدنى منك ولا تؤكد ماتخبر به فانه يتأتى الخطأ فيما
تحققت وقد تهيئ لنا الحافظة مستغربات تغش كثيرا آذاننا وأعيننا
وكل تخيلاتنا ليس لها فى الغالب من أساس متين ومع ذلك فما
الذى ينتابك اذا أنت لم تجزم بتأكدك من حقيقة عرفت ؟

ولا تتق كثيرا مما تعمل ولا تهمل أقل فرصة تأتيك بفائدة فقد
قليل فى الامثال « توجد مسافة بين الكأس والشفيتين » ومن تحين
الفرص واتهزها بلغ أمانيه ومن أمثال الانجليز « من لم يرد عند
مقدرته لا يقدر عند ارادته » ومن تخطئه فرصة لا يمكنه وجودها
بعد : قال شكسبير « يوجد فى أعمال الانسان مدّ وجزر فمن اغتتم
فرصة المدة منحه السعادة ومن أضاعها فأنما تنقضى حياته بين أغوار
ومصائب وكلنا يعيش على هذا القياس فيلزمنا السير متى كان التيار
مناسبا والا فلنستعدّ لفقد كل عزيز وغال »

وكن محترسا بغير ماتطرف ولا تخش كثيرا الوقوع فى الخطأ فان
من لا يريد أن يخطأ أبدا لا يستطيع القيام بأى عمل
ويلزمك الاعتناء فى الملابس فانه لا يمكننا الاستغناء عنه انما
يكون التجميل فيه بغير تكلف أوفقد كثير من الزمن والدرهم فكل
ما يجب عليك هو انتقاء متين الملابس ودوام نظافتها . وانه لصعب

شرح أهمية التزين ومعظم الناس يحكمون في الغالب على حسبها فان رأوك مهملا شخصك كان لهم الحق في نسبتك الى الالهمال في باقى أمورك ولولم يكن هذا القياس في الغالب صحيحا

واختبر من تروق لك حسن عاداته مادمت عائشا لان العادات بكواب وصية مفتوح وهى بعض موضوع اهتمام الكثير من الناس وكل موضوعه عند بعضهم ومن قول شسترفلد « لا تكفى الكفاءة والعلم لاستجلاب القلوب وانما هى التى تثبتها بعد استجلابها فقول نحوك الانظار بحسن الهيئة أولا ثم باتقان عملك وحسن سيرك والقلوب لا تتأخر عن الانقياد اليك » فان الناس جميعا تسمع وترى ولكن القليل منهم من له حاكمة صادقة والدنيا كرواية كل له فيها فصل ولا يحسن تمثيل رواية الا باتقان كل مشخص

وما اللطف بأقل فائدة فى الحياة من باقى الفضائل وفى الامثال الانجليزية « من الناس من يسرق حصانا من حقل ولا يخشى فى ذلك عقابا وآخر لا يمكنه أن يلمحه من سياج مرقد » وما ذلك الا لان الاول عود الرذائل والثانى الفضائل وقال هوراس (١) « لا يكفى نشاط الشباب وفصاحة اللسان لنيل المقاصد ان لم يقرنا بالذوق السليم واللطف »

٣

فى الدرهم

قال أحد النبهاء « ليس الغنى والفقر باعتبار ما يكسبه الانسان

(١) Horace شاعر لاتينى شهير (سنة ٦٤ ق م) له مؤلفات عظيمة منها صناعة الشعر التى شرحها بوالو الشاعر الفرنسى الشهير

بل بما يحسن صرفه » وبقطع النظر عن رغبة الحصول على الثروة فان الاقتصاد والادّخار للمستقبل الغير المحقق أمر شرعى وواجب فهناك مثل مؤلم يقول « اذا دخل الفقر من الباب خرج الحب من النافذة » وانه لمحزن أن يرى الانسان زوجته وأولاده ينقصهم الغذاء والملبس واعتناء الاطباء وهو غير قادر على اذاعتهم طعم الراحة أو تغيير الهواء الذى هو ضرورى لهم ثم يشعر من نفسه بامكانه منع تلك الآلام لو استعمل قليلا من الحزم أوضحى بعض ملاحظيه حتى الشريفة منها

والاقتصاد لجمع الدرهم على الدرهم أمر دنى انما الاقتصاد لحفظ الاستقلال أمر حق يدل على الشهامة فاتخذ كراسية تكتب فيها ماتصرفه بدون اهمال ولا تشحنها بدنىء ماتصرف بل بما يكفيك لمعرفة أوجه صرف دراهمك وثمان ماتشتره . واعلم أن من يعرف مقدار ما عنده وثمان ما اشتراه لا يصرف درهما فى غير موضعه أبدا وانما المبذرون يبددون أموالهم وعيونهم مغلقة اذ لا يبلغ الجنون حدّا يجعل الانسان ينظر خرابه بعينه

واحترس على الأخص أن يتجاوز صرفك حدّ دخلك وضع جزأ منه ولو زهيدا بجانب فى كل عام ولا تستدن أبدا وقال مكور « اذا كان دخلك خمسمائة فرنك وصرفت أربعمائة تسعة وتسعين فقد كسبت الراحة بعكس ما اذا صرفت خمسمائة واحدا فانه يحيق بك الشقاء مع أن الفرق فرنكان فقط »

ولا ينقص قدر هذه الموعظة ورودها فى موضع الاضحوكات

ولئن قلت ان الاستدانة توجب الاسترقاق الحقيقي فلست بمخطئ
أبدا لان من يستدين يزداد ألما ولقد أصاب هوراس جريلى فى قوله
« ان الجوع والبرد ولبس الاسمال والشغل المضنى والاحتقار من الغير
وسوء الظن واللوم بغير حق كلها أسباب آلام ولكن التحمل بالدين
أشد ألما منها جميعا . فلا تستدن أبدا واذا لم يكن معك غير خمسين
صلديا اشتر مدا من الذرة وحمصه وكله ولا تقترض من أحدا رايالا »
وقد قسم كوبدن^(١) الناس الى قسمين قسم اقتصد وآخر أسرف
وجميع المنازل والطواحين والقناطر والسفن والاعمال العظيمة
التي تأسست عليها المدنية والسعادة الانسانية كلها من عمل من
اقتصد أما الذين أسرفوا فقد كانوا لهم العيب وهذه سنة الله
فى خلقه من قديم ولئن وعدت بالنجاح فريقا دأبه الكسل وعدم
التبصر ونقص الالتفات لأكونن أكذب الكاذبين . وقال بليطارق
كان معبد أرتيميس فى إيفيزا مكانا مقدسا وملجأ للمدينين الذين يطاردون
بدائنيهم ولكن الاقتصاد فى كل مكان ملجأ مفتوح الابواب للنفوس
القنوعة تجديه الشرف والسرور وحرية التمتع بكثير من الخيرات »
فلا تستدن مطلقا ولا تدن أحدا الا اذا اقتضته المعاملة فانك فى
الغالب لا تسترجع ما أقرضته ولا تكسب الشكر الواجب لك والمدين
يكون دائما فى حاجة لما ردّه اليك فاعط بكرم بقدر ما فى استطاعتك
ولكن لا تؤمل استرداد ما أعطيت

واذا عسر عليك الحصول على الدرهم فلا تقنط أبدا لان الليل المظلم

الطويل يعقبه الصبح البلج انما اذا ابتسمت لك الدنيا لا تكن مسرفا وحدث النفس بأن الثروة لا تدوم وان كثيرا من الناس بسبب اغترارهم ببداية اقبالها أصبحوا فقراء تعساء . ولا تتعجل في أن تكون غنيا ولا تجعل حب الدرهم يستولى على قلبك فإنه اذا أتيح للبعض كسب الثروة الطائلة فالجميع قادر على الحصول على ما يقوم به أود المعيشة بقليل من الانقفا والاقتصاد . ونسمع كثيرا عن أناس أثروا بطرق غير شرعية ولكن الفقر بدون ماشك نتيجة عدم الاستقامة والمعدم ليس بفقر بل الفقر في الحقيقة هو كثير الاحتياجات

ولقد بين لنا السير چمس باجيت (الحكيم الانجليزى الشهير) فى احدى خطبه احصاء عن تلاميذه فقال « ان من الالف طالب الذى أمكنه تتبع سير حياتهم مائتين تركوا مهنة الطب وورثوا أوماتوا فى قوة فتوتهم ومن الثمانمائة الباقين ستمائة نجحوا نجاحا باهرا والبعض منهم النجاح الفائق والذين لم ينجحوا كانوا ستة وخمسين منهم خمسة عشر قطع الأمل من نجاحهم وعشرة أضاعوا أنفسهم بسبب عدم اعتدالهم ولانهما كهم فى اللذات ومن مجموع كل الطلبة خمسة وعشرون فقط لم ينجحوا لاسباب غالبية على ارادتهم فكنا واثقا أنك اذا قبلت القيام بخدمة فى أى مهنة فانه ينتفع بك »

والقليل من عنده دواعى اشتغال حقيقية فى الحياة فان الطبيعة تطالب قليلا وتعطى كثيرا والزيادة الباطلة دائما غالبية الثمن ولقد أصاب

فرنكلن^(١) في قوله « ان ما ينفقه الانسان على ارتكاب نقيصة واحدة كاف لتربية ولدين » ومن مواعظ الدوق دى ولتون^(٢) « زيادة الربح نقص في الضمان »

ولا تضع كل مالك في عمل واحد لانك مهما كنت خبيرا أو واثقا من ضبطك أعمالك قديتأني أن تخطئ في حسابك فلطالما أخطأ كثير من أنبه التجار وأصحاب المصارف والعامل لا يؤمل أن يصيب في كل الامور فان ٢ و ٢ تكون ٤ ولكنها أيضا تكون ٢٢

وتعود الصبر وتعلم الملل عند الحاجة فقد قال باجيهوت الاقتصادي الانجليزى الشهير « كثير من أرباب الاعمال أضاعوا أنفسهم بعدم قدرتهم المكث والسكون في محال أشغالهم »

وما خلق الانسان الا ليشغل وكل منا عليه عمل سواء أراد أو لم يرد وعلينا جميعا واجبات نقوم بها ودور نديرها ونفقات نحصرها وصغار الامور أحيانا تكون أكثر ارتباطا من كبارها

ويرتبط النجاح في كل عمل بسلامة العقل ودقة الالتفات وحسن الترتيب أكثر من ارتباطه بقوة الذكاء وهذا مما يجب أن ننهي به أنفسنا . وقد قيل في قديم الامثال « من يكفى حانوته فان حانوته

(١) Franklin عالم أميركى وسياسى شهير وهو من اشتغل في طلب استقلال

الولايات المتحدة ومخترع مانعة الصواعق (١٧٠٦ - ١٧٩٠)

(٢) Duc du Wellington قائد انجليزى غلب نابليون في واقعة

واترلو سنة ١٨١٥ (١٧٦٩ - ١٨٥٢)

يكفيه » وروى اكرونوفون^(١) عن ملك العجم انه أراد يوما معرفة الطرق التي بها ينمو جسم حصان جميل عنده فسأل أمهر سائس عن ذلك فكانت اجابته « عناية الملك »

ومن المهم جدًا في الاعمال معرفة تمرينات عملية فقد أكد لي أحد الاصحاب الثقات « انه بحث عن أسباب خسارة كثير من تميزوا بكريم الصفات واشتهروا بطيب الخلق فوجد أن لا سبب غير البطء في العمل وعدم الترتيب ونقص القدرة في حسن التفاهم مع الغير ثم تعنتهم في الرأي وبالاختصار كان ينقصهم التدريب العملي »

والترتيب ومعرفة وسائل النجاح أمران لازمان في كل عمل صغيرا كان أو كبيرا فاجعل لكل شيء محلا (وهذه خير موعظة) ورتبه باعتناء يتوفر عليك كثير من الزمن : قال اكرونوفون « يمثل لي عدم الترتيب زارعا يبذر حبوب قمح وذرة وخضر بلا انتظام وعند ما يريد أن يأكل عيشا أو يصنع فطيرا أو يطبخ طعاما يضطر لضياح وقت طويل في فصل ما كان يمكنه وجوده حاضرا عند الطلب »

وكثير من الفلاسفة من عهد ارسطو^(٢) الى عهد كركيل^(٣) ذموا من يشتغل بالتجارة وغيرها من الاعمال زاعمين أنها احتياجات دنيئة تحط من القدر حتى ان أفلاطون^(٤) حرم من الحقوق المدنية من يتجر في جمهوريته وأباح التجارة (باعتبارها مهنة دنيئة) لمن يرغب

(١) Xénophon قائد ومؤرخ وفيلسوف يوناني شهير (٤٤٥ - ٣٥٥ ق.م.)

(٢) Aristote من أشهر فلاسفة اليونان الاقدمين (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.)

(٣) Carlyle مؤرخ انجليزي له كتاب شهير عن الثورة الفرنسية (١٧٩٥ - ١٨٨١)

(٤) Platon من أشهر فلاسفة اليونان وهو أستاذ ارسطو (٤٢٩ - ٣٤٨ ق.م.)

فيها من الاجانب وبما أن التجارة أصبحت من الاعمال
الضرورية لفريق عظيم من الناس فكل ما يؤسفنا كثيرا هو أن يكون
لهما سيئ الأثر في الاخلاق أو أن يصعب علينا التوفيق بينها وبين
التربية العالية . نعم ان من يشتغل بعمل لا يكون عنده ما يكفي من
الوقت للاشتغال بشئ آخر الا أنى أذكر هنا بعض من جمعوا بين صفات
عالية ممن نبغوا في العلوم والآداب فان ناسميث كان فليكا وصانعا
وجروت بنكيرا ومؤرخا والسيرايثانس صانع ورق ورئيسا للجمعية
الآثار وأميننا لصندوق الجمعية الملوكية وبريستوتش تاجرا ومدرسا
لعلم طبقات الارض في كلية اكسفورد وروچرس وپريد أصحاب
مصارف وشعراء وهل يسمح لي بذكر اسم والدى ليوك الذى
كان ماليا ورياضيا وأميننا لصندوق الجمعية الملوكية ووكيلا لها
في كثير من السنين

ولقد بالغ كرليل في معارضته لمن يقول بوجوب الشراء بثمان قليل
والبيع بثمان غال حتى انه طلب بدون زيادة في البيان تحديد أقل ثمن
لشراء وبيع القطن بل وغيره من الاصناف فكأنه بذلك يريد ألا نصنع
القطن بنفقات أقل من الأثم الاخرى حتى لا نبيع منه مقادير أكثر
منها بل يريد ألا نبيع بثمان أقل وألا نتفق معها على توحيد ثمن البيع
وهذه كلها خيالات لا يمكن اتباعها لانا اذا قللنا من بيع القطن فقد قللنا
من شراء الغذاء ومن المسلم عند كرليل نفسه أنه كلما كان ثمن الحبوب
زهيدا كلما كثر البيع منه فاذا اتبعنا قاعدته المتقدمة الذكر نجد كثيرا
لا يملكون شيئا لشراء ما يحتاجونه من الملابس بأثمانها العالية مع

انه فى امكاننا الا كتفاء بثمان اقل منها ولكن كرليل يحرمه علينا فىنقص
بعض الناس الملبس والبعض الآخر الغذاء . ومع ذلك فان معنى
التجارة هو مبادلة ما يمكن صنعه بثمان قليل بما لا يمكن الحصول
عليه بذلك الثمن والقاعدة الاساسية فى التجارة بل سر فوائدها للناس
على اختلاف نوعهم هو الشراء بأرخص ما يمكن والبيع بأغلاها لاننا
نشتري ممن كثر احتياجه للبيع ونبيع لمن كثر احتياجه للشراء وكل
طريق يخالف ذلك يذكركنا المثل المشهور « حمل الماء الى النهر »
ولقد عاش فى الفاقة بعض أعظم الرجال علما وذكاء وشهرة
وسعادة فقد عاش وردسورث^(١) مع أخته سنين عديدة بايراد قدره
سبعة وثلاثون فرنكا فى الاسبوع وكانت هذه المدة أسعد أيام حياته
فاذا لم يسعدك الحظ بأن تكون غنيا فان الذكوى والاخلاص يجعلان
لك عالما يكفيك من قليل إيراد وضئيل مسكن وعزيز صاحب
ولا خطأ أكثر انتشارا بين الناس من الاعتقاد فى قوة الدراهم :
فهل للغذاء ؟ قال السير تيمبل « اذا أراد الغنى تحسين صحته يلزمه
أن يعيش عيش الفقراء » وأكلة بسيطة جيدة الصنع هى فى الحقيقة
كأطعمة وليمة فاخرة كما أن الماء كولات الصحية الشهية الطعم زهيدة
الثن فى أوانها وفى غيره لا طعم لها وبيضة جيدة أكلة كاملة
وهل لشراء الكتب ؟ انه ليجب أن يكون الانسان معدما جدا
حتى لا يمكنه شراء الكتب التى يريد مطالعتها فان أنفسها كالكتب
المقدسة وأعمال شكسبير وملتون وغيرها أصبح ثمنها زهيدا

(١) Wordsworth من مشاهير شعراء الانجليز (١٧٧٠ - ١٨٥٠)

وهل لا اكتساب الصحة والذكاء والاصحاب والجمال والراحة
 المنزلية ؟ قال قونفسىوس « ان دون دى تسية كان غنيا جدّا
 وما كان يحبه أحد وبيكيه مات جوعا والامة تبكيه الآن » وقال
 بيكون « ان ذوى الثروة الطائلة لاهون عن أنفسهم فهم بين
 انشغالاتهم المتشعبة لا يسمح لهم الوقت بالاعتناء بأمور صحتهم
 الجسمية والروحية » وكل السلاسل ثقيلة الحمل ولو كانت من
 الذهب ولا يشك أحد في أن المال سبب عظيم في انشغال البال وهو
 كالفقير يجلب الاحزان وكلنا يرى معظم الاغنياء أرقاء ثروتهم لا مالكين
 لها ولكم من أغنياء كانت الدراهم سببا في موتهم الادبي بل كم
 منهم من يجد أتعابا في قصره لا يجدها الفقير في خصه وانما العقلاء
 وحدهم هم الذين يستخلصون السعادة من الثروة أما من يتعجل
 في أن يكون غنيا فانه يمضى عمره في الفاقة وقال ريسكان (١)
 « العيش في منزل بسيط مع إمكان الاعجاب ببذخ القصور يكسب
 الانسان سعادة أشهى من السكنى في قصر ولا يرى ما يعجب منه »
 ويلزم للتمتع بالثروة عدم جعلها الشغل الشاغل فقد قال السعدى (٢)
 « من عنده كفايته فقد حفظ بها ومن عنده كثير المال فانما هو
 الذى يحمله » وقال بيكون « ما أذل من يحتاج لقليل ويحذر الكثير »
 وقال شكسبير « كن كثير الثروة تعيش فقيرا لانك تكون كحمار أثقله
 حمل الذهب ولا يكون لك عمل غير حمل تلك الثروة الجمة حتى الموت

(١) Ruskin من مشاهير أدباء وشعراء الانجليز في القرن الثامن عشر
 (٢) Sady أشهر شعراء العجم مؤلف كتاب جولدستان (جنينة الورد)

الذى ينزع عنك كل شئ » وتؤدي الثروة الى البخل فقد تعلمنا في المدرسة « يزيد حب الذهب بقدر ما يكثر الذهب ^(١) » وقال سنيك « الفقير ينقصه أشياء كثيرة ولكن البخل ينقصه كل شئ » وقال بيكون « من يتعب ويكد في البحث وراء الثروة يلزمه زمن أكثر من يشتغل بأسمى من ذلك لان الثروة لاقيمة لها الا في حفظ الحياة التي لاقيمة لها مادامت متشربة بتعب البحث وراء الثروة » وقد قيل في الامثال « الفقر خطيبة الشاعر » والعبارات التي نستعملها في الكلام عن كثرة المال ترينا الحقيقة فقد يقال ان فلانا كونه ثروة طائلة وانه محشو بالذهب يتدحرج عليه ولكنه لا يقال انه يتمتع حقيقة بالذهب وفي الواقع فان من يجمع المال لا ينتفع به فانه يجمعه ولا يدري لمن سيكون ويثبت لنا شارميدس في كتاب اكر ونوفون ان الفقير مميز عن الغني بقوله « أليس من المحقق أن العيش في الامن خير منه في الخوف وأن الحر أفضل من الرق وأن يحترم الانسان أرفع من أن يحترم غيره وأن يشعر بثقة حبه لوطنه أشرف من أن يكون مركزا لتضارب الاوهام فاني لما كنت غنيا في هذه المدينة كنت أخشى أن يكسر بيتي سارق فيسلب مالي ويمسني بضر ولكني الآن انام مستريح الفؤاد ولى حرية البقاء أو الانتقال أنى شئت وكنت مهددا لصحبتى بسقراط أما الآن فلا يتوجس مني أحد وكنت تعيس الحظ بسبب تذرع الحكومة لاملاكي ولكنني الآن أمنت الجسارة اذ ليس عندي سوى

الامل في المكسب على الدوام »

ولقد أصاب شارميدس في كثير من قوله ولكنه ليس كل الحقيقة خصوصاً وأنه قال ذلك عند خروجه من وليمة فاخرة زانها صوت الموسيقى المشجى

وحسن التصرف في الدرهم مجلبة لكثير من الخير لان الذهب هو القوة وكما قال أحد نبهاء الفرنساويين « ملك الملوك » كما أنه الواسطة في تحصيل الرغبات فان كان الهواء الجيد والدار الجميلة والكتب والموسيقى خيرات فالدرهم واسطة نيلها وان كانت الراحة حسنة فالدرهم واسطة الفوز بها وان كان الاطلاع على ما في العالم أمراً مفرحاً فالدرهم واسطة السياحة وان كان التمكن من مساعدة الاصحاب ومواساة البائسين يعدّ مكراً فالدرهم واسطة هذا الارتياح العظيم . فعليك اذن كما قال سوفيست^(١) بابقاء بعض الدراهم انما أعط لها بعض حكمتك لا كل قلبك

والبخيل من يحب الدراهم لذاتها ويتطرف في الاقتصاد حتى يصير آلة لجمع الذهب وتعلمنا الحياة وجوب اجتناب كل ما فيه دناءة نفس وذلة وحب المال أحط كل هذه الصفات لان ما يهم في الثروة هو معرفة استخدامها بحكمة وفي الامثال « من أحسن التصرف في المال زاده ومن غلّ يده عاش دائماً في قحط » وقد كتب أحدهم على لوح قبر الكونت دوفنشير « اننا نملك ما وهبناه وما صرفناه عاد علينا وما تركناه فقدناه »

فكن كريما من غير ما تطرف ولا تكن ممن يظهرون أنفسهم أغنياء وهم فقراء أو ممن يتظاهرون بالفقر وهم أغنياء ومن يحسن على الفقراء يقرض الله الذي يجزيه خير عمله وكما أنه يجب على الغنى النظر في شؤون أولاده فليس له أن ينسى الفقراء لان ما نكسبه بكدنا هو حق لنا ولكن ما نرثه عن آبائنا ليس لنا وحدنا فوصية الأغنياء نبذ الكبرياء في هذه الدنيا وألا يثقوا بدوام المال بل بقوة الخالق الحى الذى وهبهم جزيل نعم يتمتعون بها . وصيتهم عمل الخيرات وكثرة التصدق وسرعة العطاء ليجمعوا لأنفسهم كنزا ثمينا يكسبهم الحياة السرمدية ولم يكن المال فى ذاته رأس الخطيئة بل رأسها حب المال فوصيتهم ألا يجمعوا فى الدنيا مالا تقرضه الديدان أو يأكله الصدا أو تنشله اللصوص بل يجمعون فى السماء كنزا لا يخافون عليه من شئ فانهم سيكونون حيث يوجد ذلك الكثر

٤

فى الرياضة

من أمثال الانجليز « ان الصبي الذى يرهق الى العمل ويحرم الرياضة يصير أحق » فاذا بقى بالمنزل دائبا على العمل رهفت صحته حتى اذا ما كبر صار ضعيفا . وليست الألعاب بمضيعة للزمن بل لها فوائد عظيمة فهى التى تكسب الجسم نموا وتقوى على الأخص عضلات الاذرع والصدر التى تألم وتتعب فى كثير من أعمالنا وهى التى تحفظ الصحة وتكسب الانسان إقداما على العمل وتعوده

الاتحاد وعدم التمسك بسفاسف الامور وتجعله لا يغتر بمواهبه وتثبت فيه فضيلة الأمانة وقصارى القول فهى التى تمنح الانسان الصحة الحسية والمعنوية مع الجلد والصبر على المتاعب وإخضاع النفس والبشاشة وكثير من الفضائل التى لا تكتسب من الكتب . ولقد أصاب الدوق دى ولانتون حيث قال « كان اكتساب واقعة وائرلو فى فسحة ميدان إيتون » فان أفيد ماتلقاه أبنائنا فى المدارس العظمى هو ما يتلقونه وهم يتروضون . وإنما يجب أن يكون اللعب تفكها ورياضة لاشغلا شاغلا

وأذكر هنا لبيان فائدة اللعب الصحية رأى اثنين من أعظم حجج الرجال فقد قال السير خمس پاچيت « ان للألعاب تأثيراً أدبياً مفيداً فى أعمالنا اليومية لأنها توحد وجهة الرجال والشبان وتعلمهم واجبات المعاشرة وتثبت فى نفوسهم روح التعاون والتعاقد التى هى من أسمى أسباب النجاح فى الحياة كما أن اللعب يعود الانسان بل يطبعه على الحرية التى ينجل الجميع من حبسها مهما كانت الفائدة التى تعود من ذلك ويكسب من اعتاد الأمانة فيه فضيلة الصدق ومن حاز فيه دقيق الشعور معرفة احتقار دنىء الوسائط التى ان لم يعاقب القانون عليها فان ذلك الاحساس الشريف يمتتها »

وقال الاستاذ ميخائيل فوستر سكرتير الجمعية الملوكية فى احدى محاضراته « انما يحدث التعب من المخ حتى فى الاعمال العضلية ولا يخفى صعوبة تعب المخ غير الناشئ عن العضلات ومن هنا نعلم أن الشغل العقلى كالعضلى مصحوب بتغيرات كيمياوية تختلف

عن بعضها فى بعض الوجوه ولكنها واحدة فى المخ والعضلات وأن تأثير المادة العصبية الشديدة يعوض بل يزيد عن تلك التغيرات الكثيرة فى المخ وإذا كان ضروريا لحياة العضلات من دورة دم نقي لتجديد قواها وتحليلتها من المحصولات السامة فضرورى للمخ أيضا من تلك الدورة وأعظم مؤثر ضد هذا التسمم هو انهاض قوة الأجزاء المحصلة من الأجزاء الخادمة لا تكثير قوى المخ نفسه «

وقد تشربت كلمة الصيد فى البر والبحر معنى الرياضة التى كانت تشمل جميع أنواع اللعب وانها لمن أسمى ما ترتاح اليه النفس حتى ان الذين لم يعتادوها يشعرون بشديد ميل اليها وهوميل موروث عن أجدادنا الذين كانوا يعيشون فى هذه الرياضة ويتعيشون منها ولو أنهم تغالوا فى مدحها الى حد اعتبارها سببا للسعادة فى الآخرة

ولا تخفى ضرورة الماء النقي للشرب وضرورة الهواء ليست بأقل اذ لا شئ أبعد منه فهو الذى يخترق جسمنا بأكمله ويحيطه بمادة لطيفة لا نشعر بها وهو ذو القدرة العظيمة الذى يحمل السفن على سطح الماء ويأتى بصفائه من واسع البحار وعالى الجبال الى بطون المدن وهو الذى يدنى من آذاننا نغمات الطبيعة ويسمعنا صوت من نحب وهو المستودع القسيح للأقطار التى تروى الارض والملطف لحرارة النهار وبرودة الليل وهو الذى يكور فوق رؤوسنا هذه القبة السماوية الفاخرة الزرقاء ويملاء باللهب سماء الصباح والمساء وهو لطيف جدا كثير النفع حاز لطفنا شهيا نقيما ورقيقا لينا يعلمنا كيف كان أرييل (١)

ذارقة ولطف وتأثير شديد في النفوس

ونتكلم أحيانا عن رداءة الطقس ولكنه لا يوجد في الحقيقة طقس رديء وإنما تختلف في الجودة فمنها ما هو رديء للزرع مثلا ولكنها جميعها توافق الانسان فان حرارة الشمس مفيدة والمطر مرطب والرياح مبهجة والثلوج منعشة

وما كل راحة تعدّ كسلا فاذا مكث انسان مطر وحا على بساط خضرة تحت الأشجار في فصل الصيف يسمع خرير الماء ويرى السحاب الأبيض يمرّ فوقه في السماء لا يعدّ وقته ضائعا أبدا وضروري لصحة العقل والجسم من الهواء الطلق لأنه لم يخلق عبثا ألا ترى من ذلك استعداد الطبيعة لأن تودعنا بعض غوامض أسرار لا تفضّن علينا بها

ان في رؤية الأرض والسماء والحقول والغابات والجبال والنهيرات والبحيرات والبحار لدروسا مفيدة نتعلم منها ما لا نتعلمه من الكتب فاذا ذهبت للخلاء ومكثت بجانب عين ماء تجري أوقطفت أزهارا من بستان أو جمعت أحجارا من مناجم أوقوعات ونباتات من شاطئ بحر أو لعبت الكرة والصوبلحان أو تمتعت كيفما شئت بمحاسن الطبيعة لا بد أن تتقدم صحتك وتذهب شواغلك أو تقلّ على الأقل لأن سكون الطبيعة يرطب الجسم ويقويه ويبهج العقل ويفرحه ولكن الحياة التي تقضى في المسرات والفسح تصير معجرفة رديئة فلا يجب أن يكون اللعب مشغوليتنا في الحياة كما لا يجب اهمال التمتع به باعتدال

وما هي موارد الفسحة ؟

يوجد سرور حقيقي وآخر غير حقيقي وقد سأل أفلاطون سقراط عن السرور الحقيقي فأجاب « انه ما كان موضوعه الألوان والصور الجميلة وأغلب ما يتولد من روائح وأصوات وبالاختصار كل ما لا يؤثر الحرمان منه على الانسان ولا يؤلمه ويكون التمتع به مشفوعا بتأثير لطيف لا يشوبه أدنى ألم » وقد تأتينا حواسنا ببعض السرور الحقيقي ولكنها لا تأتينا بأسمى درجاته وقد ورد في الفيليب (١) « ان الفرح والسرور والابتهاج وما أشبهه كلها أسباب خير المخلوقات » ولكنى أرى عكس ذلك فان الحكمة والذكاء والذاكرة وكل ما كان من هذا القبيل كالفكر الراجح والاستدلال الصحيح أحسن وأحق بالمدح من المسرات عند من حاز تلك الفضائل بل عند من يحصل على بعضها من أهل هذا العصر أو المستقبل

ولا تدخل أسباب المسرات الحقيقية تحت حصر فنها الاهل والخلان والمحاذثة والكتب والموسيقى والشعر والصناعة والتمرين والراحة وكل مناظر الطبيعة الجميلة والصيف والشتاء والصباح والمساء والنهار والليل والشمس والقمر والعواصف والحقول والغابات والانهار والبحيرات والبحار والحيوانات والنباتات والاشجار والازهار والاوراق والاثمار الى آخر ما يحتاج ذكره ضخمة المجلدات

فاذا صعب عليك الحصول على السرور فلا تنسب الخطأ الا اليك لان الجميع قادر على التمتع به بالرغم عن قلة عدد الاكتشافات

والساعة التي تقضى في محادثة مفيدة تعدّ من أشهى مسرات الحياة لأنها تقوى الجسم والعقل معا

وقد تكلم هيريك عما يجب عليه من عظيم الشكر الى بنچنسن^(١) ووصف مجلس العشاء عنده فقال « كانت مجالسنا مجال شريف المسرات بحيث كنا عند سماع بيت شعر ننسى لذيق المآكل والمشارب » وكان يقول جونسون^(٢) عند ما يريد وصف ليلة سرور « لقد تسامرنا طويلا ياسيدى » وحقيقة فاني استفدت في كل ساعة أمضيها في محادثة داروين أو ليل أو كنجسلي أو ريسكان أو هو كسلي أو تندرل أكثر من وجودى ذلك الوقت في الهواء الطلق

ومعرفة المحادثة من أعظم الامور التي لم يتساو فيها نصاب الناس فقد عرفت رجالا أفاضل يحبون الافادة ويصعب جدا على الانسان أن يستفيد منهم شيئا يذكر والمحدث النبیه مقبول أينما حل ولكن المحادثة فن يستلزم كغيره من الفنون كثرة البحث ولا يمتاز فيه أحد بغير التمرين وقد قال السير تيمبل « يلزم لحسن المحادثة الاعتناء بالحقيقة أولا والتميز ثانيا والبشاشة ثالثا والعقل رابعا » وفي قدرة الجميع الحصول على الثلاثة الامور الاولى على الاقل

وكثير من الناس من تعلم من المحادثة أكثر من نصف معلوماته وقال بيكون « من يسأل كثيرا يعلم كثيرا ويكون على العموم محبوبا انما يلزم لذلك انتخاب الاسئلة مما يليق بالعرض بين عقول

(١) Ben Johnson من أعظم شعراء انجلترا ورواتهم (١٥٧٤ - ١٦٣٧)

(٢) Johnson من مشاهير بلغاء انجلترا (١٧٠٩ - ١٧٨٤)

من يُسألون لاستمالتهم الى رغبة الحديث والحصول على الفائدة المرغوبة والاطلاع على صائب أفكارهم »

وانا لانربى في أولادنا ولا في أنفسنا التأثر من لطيف الاشياء مع أنه سبب سرور حقيقى عام نجده في كل وقت ولا نتكلف من أجله شيئا فننا من يجد سروره في رؤية قرية وأشجار وفواكه وأزهار وزرقة السماء وبياض السحاب وبريق البحر ولون البرك وبحريان الانهار والظلال التي تعلو الحشائش المرتفعة والقمر والنجوم والليل والنهار ومنا عدد عظيم ينظر كل ذلك ولا يتأثر فلا فائدة عنده في أن يضيء القمر والنجوم ولا سرور له في رؤية الطيور والحشرات والاشجار والنهيرات والبحيرات ونور الشمس

والجسم كما قال سبنسر^(١) يأخذ شكله من النفس والنفس هي الشكل وهي التي تكون الجسم وقال هامرتون « ان في الالوان الصناعية لبعض مايكفى لانماء قليل عجبنا ولكنها لا تكفى لتكسبنا سرورا كالذى يداخلنا من رؤية إكليل السحاب المتقطع المحتجب في ظلام الليل أو جمال ريشة بطة وحشية » وقال ريسكان « ان العين لتقر سرورا من رؤية جمال نور النهار عند بزوغ ووقت الغروب أو قضبان السحاب الحمراء التي تضيء كنار تنذرنا من سماء كساها مغيب الشمس ثوب الخضار حيث تظهر الارض للعين محاطة بفاجر الالوان والشمس في غروبها بالغة من جمال المنظر ما يخيل لنا أن أبواب السماء قد فتحت أمامنا »

واذا وجدت بنو اسرائيل في المن والسلوى كل طعم اشتته نفوسهم
كما قالت شراح التلمود فكل منا يجد في الطبيعة ما يشتهيه من عظيم
المسرات بغير ماتعب

ولم أشتغل في حصر أنواع المسرات الحقيقية ولكنه مادام الشريف
منها كثير العدد فلما ذا نبحت عن المسرات المفسدة للصحة أو
المشكوك في أمرها وإذا توهمنا لها حدا تنتهي عنده فلنسر معها
إليه وننظر بعد فما يبق لنا من العمر

ومن يكرر النعمة المشهورة ويقول إنه مارس الحياة ويظن أنه
عرف الدنيا فقد أخطأ فما معرفتنا للحقائق بأكثر مما يعرفه قروى
لم يفادر بلدته ولكنه اعطى بما يمر بها من الحوادث . والحياة التي
تقضى في الإعجاب بالنفس ويسمى البعض خطأ بالعيش في السرور
تشبه دنىء بالسعادة ومن يتبعون تيارها ثم يتألمون منها ويشكون من
الدنيا هم الأحق بالذم وحدهم : قال فوفنارج (١) « متى أنهكت
الذات قوانا ظننا أننا قد استنفدناها » : وقال ميسيه (٢) « قد اتبعت
في شبابي هوى النفس وما وصلت نصف الطريق حتى ألم بي الضنك
فرجعت » فيا لهذا من اعتراف محزن اذ لو سلك في عمله سبيل الحكمة
لأمكنه أن ينظر الماضي بالشكر والمستقبل بعين الامل

(١) Marquis de Vauvenargues من مشاهير أدباء فرنسا

(٢) Alfred de Musset من شعراء فرنسا ألف جملة روايات شهيرة

(١٨١٠ - ١٨٥٧)

في الصحة

لقد أعطت شروط حياتنا الحاضرة أهمية خصوصية للصحة فان
الاولائل كانوا يعيشون في خالص هواء البادية ويشغلون بالزراعة أكثر
منا الآن أما نحن فمجتتمعون في المدن ونشتغل كثيرا في المنازل والحوانيت
والمصانع ولذا صارت حياتنا حضرية تضعف الاعضاء وتستلزم قوة
أعصاب ومخ أكثر من تلك

وانه ليؤسف كثيرا على ما صارت اليه صحة أهل هذا العصر من
ساكني المدن الكبيرة وعلى الضعف والاصفرار والفتور المستولية
على من نعثر به من الرجال والنساء في دروب الفقراء

وقد تكون الاحتياطات الصحية أحيانا خطرة حيث بها يعيش
بعض من الضعاف فيقضون حياتهم في الامراض والآلام ولكنها
في الغالب تزيل الضعف الناشئ عن كثير من الامراض . وقد
اهتم كبار رجال الحكومات بأمر الصحة من عهد بعيد وعرف
الكل أهمية حكمة (ان العقل السليم في الجسم السليم ^(١)) وان الاعتناء
بالصحة من أقدس الواجبات فقال كنجسلي عن قدماء اليونانيين
« انهم كانوا يعتبرون التربية الجسمية كالعقيلة علما يدرس حتى
ان نساءهم كن يشتركن معهم في الالعاب اللطيفة وألعاب الفروسية
فحفظن في أجسامهن قوة أكسبتهم جمالا يضرب به المثل الى الآن »
وقد ظهر لنا أن المصريين كانوا أعلى حكمة باعتنائهم بالتربية الجسمية
من سخروا بهم من أهل القرون الوسطى

وليس من الفضيلة في شئ أن يلبس الانسان رث الثياب ويعيش في القاذورات وقد ورد في قديم الامثال « النظافة تعادل الايمان » وما أظهره الطب من حديث الاكتشافات يؤيد لنا صحة هذا المثل ويبين لنا حكمته فقد تحققنا الآن أن كثيرا من الامراض كالكوليرا والجدرى لا تحدث من ذاتها بل تنشأ عن جراثيم تحمل بالجسم فلذا صار أمر النظافة ضروريا في المنازل التي نسكنها والملابس التي نكتسي بها والماء الذي نشربه والهواء الذي نستنشقه

ويالجسم الانسان من معجزة ! تفكر قليلا في كثر المعلومات الفسيح المتجمع في المخ وانظر لسرعة ودقة اطاعة العضلات تأثرات الارادة فالجلد نسيج ذو لطف وتركيب عجيب مكون من ملايين من الخلايا وحاو لكيلو مترات من العروق والمجاري الدقيقة والاعصاب وغيرها وحيث انه دائم التجدد فيلزم لتتميم وظيفته الاعتناء به وعدم اقتصاد الماء في تنظيفه مع ذلك بالفرشة فان ذلك ضروري له كضرورته للشعر بل يلزم للتمكن من نظام وظيفة هذا التركيب العجيب تمرين جميع أجزائه فانه يمكن أن يقال عن كثير من الامراض ما قاله ميلتون عند عيادته لهوبسون « ان الكسل أعظم مرض له » وقال سنك « لقد أضعفت زخرفة مدينة كابو نفس أنبيال الذي لم تقهره ثلوج جبال الألب فانه بعد أن انتصر بالعدد غلبته الملاهي »

وقد تهوى لنا الحواس بعض لذات شريفة ولكن اتباع أهوائها يؤدي بنا الى جميع متاعب الحياة ومهاوى التهلكات كبنيات البحار التي نسمع

عنها في الخرافات (١)

وقد سبب عدم الاعتناء في الاغذية كثيرا من أمراضنا وصارت كلمة « مشروب » مرادفة للفظ « كحول » مصيبة أهل الشمال الدهماء نعم ان الخمر في بعض حين دواء ثمين الا أن الميل اليها والافراط فيها بلغ من الشدة ما جعلها في انجلترا منشأ نصف الجنائيات والمصائب فهل سمع أحد أو علم أنه نشأ عن الماء جنائية ! انى أعبّر عن الكحول بالمصائب المجمععة في الزجاجات فانها رأس الكبائر ومن أمثال اليهود قولهم « متى أراد الشيطان دخول مكان ليس في استطاعته طريقه يبعث فيه بالخمر أولا » وقال بلين (٢) « الخمر ترعش الايدي وتسيل العيون وتزعج الليالى وتسمم الانفاس وتعدم الذاكرة » وقال السير رالى (٣) من يدمن الخمر يفقد ثقة الناس به لانه يكون غير كفء لأن يصون سرا بل تصيره مجنونا دون الجهاد مرتبة فاذا جنحت اليها فاستعد لأن تهزأ بك أولادك وأصحابك وزوجتك « ومن ملح شكسبير قوله في مقت الخمر « أضرورى للانسان أن يضع في فمه عدوا يسلبه

(١) من خرافات الاقدمين وهى أجسام نصفها امرأة والنصف الآخر سمك سكنت شواطئ ايطاليا وكانت تجذب بنغماتها الملاحين اليها وتفرقهم فلما مر عليها عيلوس ولم يحب نغماتها أهلكت نفسها حنقا منه

(٢) Plinie l'Ancien طبيعى روماني شهير مات عند انفجار بركان فيزيف سنة ٧٩ ق م .

(٣) Sir W. Raleigh من مشاهير كتاب الانجليز كان مشغولا بالسياسة وأعمال الحكومة والبحارة في آن واحد (١٦١٨ - ١٥٥٢)

العقل ويصيره بهيما بينما يكون في سرور وكيف انه بسبب كوننا من بنى الانسان نعمل على أن نكون حقي بل بهائم . أستغفر الله انى بهذا التشبيه أخط من قدر البهائم » وما أسمى ما يكسبه الاعتدال فقد قال شكسبير أيضا « انى لا أزال بالرغم عن تقدم سنى قوى الجسم نشيطه لانى لم أتناول فى شبيبتي مسكرا ولا شرابا آخر يحرق دمنى ولذلك فانى فى شيخوختى أشبه بردا قارسا كثير الثلوج بيد أنه صمى »

ومما يستغرب منه أن الانجيل لم يكثر فى مقت الخمر ولعل ذلك كان لقلة انتشاره فى البلاد الحارة عما فى بلادنا

وقد أتى على ذلك سيدنا سليمان فى قوله « وامصيبتاه ممن هؤلاء يشتكون ومن هم أولئك الذين يولولون ويتضاربون ويسفكون الدماء ومن أصبح من حظهم احمرار العيون قل هم السكيرون الذين يعاقرون الخمر الرديئة فلا يفرنك احمرار لون الخمر عند ماتهر اللب وهى مفرغة فى الكأس مرققة فانها كالثعبان الذى يعض من الخلف أو الحية التى تلدغ فى الخفاء »

ولكننا لا نقطع الامل فى تقليل وطأة الخمر فقد انصرفت بعض الافكار الى لذة التمتع بما يسرّ العقل كالموسيقى التى سهل الآن الحصول عليها وعلى سماعها وكالكتب ولطيف الصور والراحة العامة الى غير ذلك من الاسباب التى تساعد كثيرا على الاعتدال

وتضر الشراهة فى الاكل وتسعة أعشار الناس يقعون فى هذا الخطأ ولا تضر أكلة وليمة من وقت لآخر وانما الذى يمرض ويضر هو التعود على الاكل أكثر من الطاقة فانه سهل على الجميع أن يأكلوا كثيرا ولكن الصعوبة فى الاكتفاء بالقليل فاتخذ الاعتدال قاعدة أساسية لك

في الحياة لتبرهن على ثبات عقلك وقوة حزمك ولا تطل المكث على المائدة فان الحكمة في أن تنتهى من الاكل وعندك بعض الجوع ولا تثقل المعدة بكثرة الطعام فان من يفعل ذلك لا يستطيع التعقل ولا يستريح قلبه . واسترح قليلا بعد الغداء وقت الظهيرة فهذا محمود انما لاتضيع في الراحة ما بين الاكلتين وليكن أكلك لأن تعيش لاعيشك لأن تأكل فهذه خير نصيحة تهدي اليك

وكثير من يشكون سوء الهضم حتى صار عددهم أضعاف من أملت بهم أنواع الأمراض الأخرى وقد قال بيكون «توق كل تغيير فجأى يحدث في العناصر المهمة مما اعتدت أكله فاذا اضطرت الى الاكل منه فليكن بحزم واحتراس لأن من يحفظ عقله في هدوء وقت الاكل وبعده ووقت النوم يحق له الامل في طول الحياة »

ولما كانت حياتنا كما قدمنا حضرية فكل وقت نمضيه في استنشاق جيد الهواء لا يكون ضائعا بل يعدّ أعظم وقت في الحياة يطيل في العمر ومن أمثال قدماء الرومان قولهم «ان الصحة في الهواء (١)» لانه مهما أمضى الانسان من وقت في الخلاء لا يزيد الهواء الذي يستنشقه عن حاجته

والماء النقي كالهواء ضروري للصحة أيضا فاستعمله بوفرة فيما بطن وما ظهر حتى فيما قلت أهميته كنظافة الفم فان ذلك مما يزيد في راحتك واعلم أن العوائد في الغذاء تؤثر على الصحة أكثر من تأثير الادوية التي كان آباؤنا يستعينون بها على الامراض . نعم ان الجمعية المملوكية أقرت أيضا

استعمالها وواقفها يكون وكان هذا خطأ كبيرا ولكن لوك (١) أول من أثبت قليل فائدتها فقال « إننا اذا اتبعنا القوانين الصحية قل احتياجنا لشراء الادوية » فاطلق للطبيعة عنان حريتها وفوض أمرها اليها وكما قال ناپليون « لاتتعب المبدأ الحيوى بل أعطه فرصة المدافعة عن نفسه وهو بذلك يزيد قوة لاتأتى بها الادوية »

ووفرة الهواء والماء والانتظام فى الغذاء قاعدة ناجحة لنيل الصحة والقوة وحفظ نشاط الشباب حتى المشيب وليست الصحة صحة الجسم وحده فقد قال الدكتور ريشادسون « ان الغضب والحقد والحزن والخوف لمن المؤثرات التى تضر بالصحة وتضعف قوتها الحيوية أما الانشراح والبشاشة والسكون فانها من الاسباب المفيدة لها » ولهذا أوجب ليكيروج المتشرع اليونانى القديم على جميع ساكنى اسبارطه أن يضعوا فى غرف الأكل تماثيل صغيرة لاله الضحك ومتى انحرفت صحة أحدا أثرا قل شئ على مجموعته العصبى وصار أقل ألم يلم به عظيما وفى هذا ما يثبت فائدة الراحة واستنشاق خالص الهواء ويقول البعض ان ارهاق الصبيان الى العمل وكثرة الشغل يقتلهم وان رجالا شدادا قتلوا أنفسهم بدوام كدهم ولكن الشغل لم يقتل فى الغالب أحدا وانما منشأ ذلك كله آلام وضيق وهموم تحقيق بالانسان فقد أفقد الكسل والشره والانهماك فى اللذات من رجال لم يقتل الكد أكثر منهم والمخ كالعضلات يحتاج للتمرين فاذا ربت أوقاتك ولم تتجاوز فى شغلك حد طاقتك تقدمت صحتك ولوطال عليك العمل

(١) Locke فيلسوف انجليزى مؤلف كتاب بحث فى الادراك الانسانى

(١٦٣٢ - ١٧٠٤)

وسياتي لكل منا وقت يعرف فيه الارق وانه لمضر حيث يشعر الانسان بمصيبة دائمة وصعوبات يظهر له أنها لاتطاق ويثخيل له أن العقل لا يقبل رؤية ما يذهب شجنه ليتفرغ للاشتغال بكل ما يحزن أو ينقص الحياة ولكن الارق لم يقتل أحدا فلا تيأس من زواله انما احترس من تناول منوم فكل الخطر في ذلك ولا تطل المكث في المنزل وأطل منه خارجه ولا تشغل فكرك بما يزيد أرقك وثق حينئذ بأنك ستنام وكفالك عظة ان لم يطل أرقك أن تعرف نعمة النوم التي لاتقوم ولا يقدرها أحد حق قدرها

وقد ينشأ عن العقل أمراض كثيرة فهلا أجاب الاطباء الذين يشتغلون بمعالجة الامراض الظاهرية على سؤال الملك ما كبيت الوارد في رواية شكسبير : « هل في الامكان معالجة مرض العقل أو اقتلاع شجن تاصل في الذاكرة أو ملل حل بالفكر . كل هذا لا يعمل فيه الطب وقد يزول بنسيان يكون كالدرياق يظهر ما يباطن المرء من الادران المتراكمة على قلبه »

وليست الصحة وحدها من أهم شروط السعادة ولكنها ضرورية للعمل ولا يهملها الا كل أحمق جاهل

واذا كلف الانسان بعمل فوق طاقته استحال عليه القيام به أو على الأقل اتقانه لان اجهاد النفس وارهاقها مضر وكل عمل من هذا القبيل يستلزم بعده وقتا طويلا للراحة والسكون وتظهر فيه مسحة الغيظ أو العجز أو أي نقص آخر اما اذا أكره أحد على الشغل مع الغير فانه يغلب عدم الاتفاق وحصول الشقاق ويمكنك التحقق من ذلك

بأن تحاول وأنت على هذه الحال عمل أى شئ فانك تجد يدك قد ارتعشت وخرجت عن ارادتك ولاسبب لذلك غير ضعف فى الجسم والاعصاب فيلزمك أن تستخلص لنفسك سرورا من كل عمل تقوم به وأن تستغل بترتيب ونشاط بغير مااستمرار والاتهمل الغذاء والراحة ولا التمرين والعطلة

وقد تكون التأثيرات المضعفة لرهيف الصحة شديدة خصوصا لمن وقعت عليه مسؤولية ومع هذا فان من الناس من خلقوا بغير ماخطأ منهم للتألم فى هذه الحياة ولكن الطبيعة فى الغالب عوضتهم عن ضعف الجسم نورا فى العقل وسرورا فى القواد فقد عرفنا أناسا ابتلوا بضعف مستمر وكانوا فى البشاشة والسرور نموذجاً لذوى الصحة الجيدة بل كانت حياتهم كأنها تجد فى ذلك الضعف نزاهة وجمالا

٦

فى التربية الالهية

أثبت جميع العقلاء من عهد بعيد أهمية التربية فقد ورد فى مجموع آداب الهندين^(١) « العلم والمعرفة أنفس كثر يحصل عليه الانسان فلا يخاف عليه أن يسرق أو يسلب أو يبيد » وقال أفلاطون الحكيم « التربية أجمل ما تقتنيه أعظم الرجال » وقال مونتيني « الجهل أبو الشقاء » وقال فولر^(٢) « العلم أجل ما يتصدق به على الغير »

(١) Hitopadésa

(٢) Fuller من كتاب الانجليز الدينيين وله مؤلفات شهيرة من تاريخ

مشاهير الرجال وغير ذلك (١٦٠٨ - ١٦٦٥)

وقال أحد أدباء الفرنسيين «السلطة مع الجهل شديدة الخطر» وحياة
الجاهل في كل زمان عديمة الجدوى ولقد صدق من قال « يحتاج
الانسان للعلم ليضمن حياته ويسهل لنفسه أسباب المعيشة » وقال
بترارك « يجب تفضيل حب التعلم على كل حب غيره » وقال
شكسبير « الجهل سخط من الله والعلم سلم الجنة » وقال سيدنا
سليمان « يأسعادة من يعرف حكمة الاشياء ويقوى بها ذكاه فانه
يكسب منها أكثر من المتاجرة في الفضة ويستخلص بها من الفوائد
ما تفوق قيمته نقي الذهب وغالى اللآلى وكل ما تشتهى النفوس
ففى يمانها الحياة وفى يسراها الغنى والفخار وطرقها مألوفة وفى ثناياها
الين والاقبال » الى أن قال فى موضع آخر « الحكمة رأس شريف
الخصال فاجعلها مع التبصر فى العواقب أول ما تحصل عليه من
الفضائل »

وقدمضى حين كانوا يقولون فيه بعدم فائدة العلم خصوصا للبنات
ويؤثرون عن الالمانيين انهم كانوا يعتبرون خزانة كتب البنت دولا بها
وأن من أمثالهم أيضا مايقول « يجب أن تحفظ البنات بين الاربعة
الاناجيل أو بين أربع حيطان » ثم من عهد قريب كانوا يقصرون التعليم
على القسس والرهبان ويحرمونه على أفراد الامة وأشرفها حتى قال بعض
أعظم الرجال حكمة ونزاهة كالدكتور جونسون « اذا تعلم الجميع
الكتابة والقراءة فمن الذى يشتغل بالاعمال اليدوية ؟ » ولكنه
أتى بعد ذلك زمن عرفت فيه ضرورة التربية ولو أنهم أوصوا
بالاحتراس من تفوق درجة التربية حالة الاولاد وقالوا بكفاية

تعلم الفقراء الكتابة والقراءة والحساب ثم عمموا ذلك على جميع أنواع
الاشغال فقال هازليت « يكفى في تعليم من يحضرون للامعمال
التجارية بالتعليم الابتدائى » و « ان كسب المال سهل على الجميع
اذا لم يلههم عنه أمر آخر » ثم أصبحنا الآن نحض الصناع على التعلم
لا يكونوا من أكبر الصناع مهارة فقط بل لينشأ منهم رجال عظام
قال فيكتور هيغو^(١) « من يفتح مدرسة يخلق سجنًا » وقال أحد
رجال حكومة سويسرا « يولد عدد عظيم من أولادنا للعيش في الفاقة
ولكنه لا ينبغي أن تركهم يعيشون فريسة الجهل »

وعام ١٨٧٠ الذى قر فيه قانون التعليم الاجبارى بانجلترا عام
مشهود فى تاريخها فقد كان عدد تلاميذ المدارس الابتدائية فى ذلك
العام مليوناً وأربعمائة ألف وصار فى سنة ١٨٩٦ خمسة ملايين
وننتج عن ذلك كما نعلمه من الاحصاء ان كان عدد الجناة آخذاً فى النمو
الى سنة ١٨٧٨ فبلغ المتوسط ٢٠٨٠٠ ثم أخذ بعد ذلك فى الهبوط
حتى صار ١٣٠٠٠ فى سنة ١٨٩٦ ويتخيل لنا أن النقص بقدر الثلث
ولكنه لو اعتبر عدد السكان الآخذ فى النمو عاماً فعاماً نجد ذلك
النقص أكثر من النصف فان عدد السكان زاد بقدر الثلث ولو كانت
نسبة عدد الجناة محفوظة لصار عددهم الآن ٢٨٠٠٠ بدل ١٣٠٠٠
أى أكثر من الضعف وكانت نفقات السجون والشرطة ثمانية
ملايين بدل الاربعة الملايين التى تصرف الآن

(١) Victor Hugo من مشاهير شعراء فرنسا ورواتها وله مؤلفات كثيرة
(١٨٠٢ - ١٨٨٥)

وحصل نقص محسوس في عدد المذنبين من الاحداث فكان
عدهم ١٤٠٠٠ في سنة ١٨٥٦ و ١٠٠٠٠ في سنة ١٨٦٦
و ٧٠٠٠ في سنة ١٨٧٦ و ٦٠٠٠ في سنة ١٨٨١ ثم ٥١٠٠
في سنة ١٨٩٦

وقل عدد الفقراء فقد كان ٤٧ في الالف في سنة ١٨٧١ بعد أن
كان ٥٢ ثم نزل الى ٢٢ أى الى أقل من النصف فانخفضت معه
نفقات المساعدات العمومية حيث صارت ثمانية ملايين فقط
ولو كان عددهم اليوم عدد الامس لبلغت تلك النفقات ستة
عشر مليونا

فكان لازما زيادة أربعة ملايين للصرف على الجناة وثمانية ملايين
للفقراء أى اثني عشر مليونا

ويدعونا احصاء كبير الجنايات الى الاطمئنان فان عدد من حكم
عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة ٢٨٠٠ من سنة ١٨٦٠ الى ١٨٦٤
ثم تناقص هذا العدد حتى انه لم يبلغ في سنة ١٨٩٥ بالرغم عن زيادة
عدد السكان سوى ٧٢٩ أى الربع

ونتيجة هذا النقص ان أصبحت ثمانية من سجون الجناة غير لازمة
لما أسست من أجله واستعملت في مآرب أخرى

وابتاتا لعظيم الارتباط بين الجهل والجنايات أذكر هنا ماعلمته من
الاحصاء فانه يوجد من عدد ١٥٧٠٠٠ المحكوم عليهم ٥٠٠٠ ممن
يعرفون القراءة والكتابة نوعا و ٥٢٠ فقط ممن يمكن القول عنهم انهم
متعلمون

وهاك جدولاً بيان متوسط المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة فى انجلترا وبلاد الغال فى كل خمس سنوات مستخرجا من تقرير السجون عن سنة ١٨٩٣

عدد السكان فى انجلترا وبلاد الغال	المتوسط	بيان السنين
١٩ ٢٥٧ ٠٠٠	٢٥٨٩	فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٥٩
٢٠ ٣٧٠ ٠٠٠	٢٨٠٠	» » » ١٨٦٤
٢١ ٦٨١ ٠٠٠	١٩٧٨	» » » ١٨٦٩
٢٣ ٠٨٨ ٠٠٠	١٦٢٢	» » » ١٨٧٤
٢٤ ٧٠٠ ٠٠٠	١٦٣٣	» » » ١٨٧٩
٢٦ ٣١٣ ٢٥١	١٤٢٧	» » » ١٨٨٤
٢٧ ٨٣٠ ١٧٩	٩٤٥	» » » ١٨٨٩
٢٩ ٠٥٥ ٥٥٠	٧٩١	» » » ١٨٩٢

ويظهر لنا جلياً من هذا الجدول مقدار النقص المتوالى فى عدد الاحكام الكبرى ولا تخفى أهمية هذه الارقام خصوصاً اذا اعتبرنا زيادة عدد السكان المتوالية

وأرجو أن لا يهتمنى البعض بعدم نظرى فى هذا الاحصاء لغير الوجهة المسادية فانى لم أبينها الا لأقنع من يقولون بزيادة ما يصرف فى شؤون التربية

وتحتاج هذه الارقام الى ضبط علمى الا أنها تفيدنا كثيراً وتوجب

اطمئنان القلوب . ولو بحثنا في أسباب هذه الجنايات لوجدنا في الحقيقة القليل منها ناشئا عن المفسد والنزعات التي يتعذر ملامشتها والكثير عن الخمر والجمل ولا تنسب هذه الفوائد كلها الى تعليم قواعد الاخلاق الحسنة والى النظافة والترتيب فى المدارس بل أيضا الى الاحتراس من الوقوع فى المفسد التى تحصل فى الطرق والاتعاظ بما يحق بالحنة والمتشردين من العقاب . وهنا موضع السؤال عما اذا كنا قد اهتدينا الى أقوم طريق للتربية الاهلية فهناك اسئلة ثلاثة مهمة يجب أن تؤهلنا التربية للاجابة عنها فى كل عمل فى الحياة (١) هل ما أعمله طيب أوردىء (٢) حق أم باطل (٣) جميل أوقبيح

من نيف وقرنين كانوا ينصحون الناس كما قال بكون بيع كتبهم ليستروا أفرانا وبترك موارد الحكمة والفنون الجميلة لكونها لاتفيدهم والبحث عما يقيمهم قارس البرد وقد عرفنا الآن لزوم ما نبذوه ولكننا لم نؤسس طرق تعليمنا على قوانين الطبيعة اذ ليست التربية هى معرفة القراءة والكتابة والعَد كما أن أدوات الأكل لاتعدّ غذاء

ولطالما اتهمت بانتقاد تربيتنا المدرسية وليس هذا بصحيح فان اللغة اليونانية واللاتينية لاتزال جزءا مهما لكل تعليم ومن العبث اهمالها أو الخط من قدرها ولكن هاتين اللغتين وحدهما لاتكفيان خصوصا واننا ننفق وقتا طويلا فى حفظ بعض جمل كانت مستعملة منذ عشرين قرنا وبذل جهدا عظيما فى استنتاج قواعد اللغة من الموضوعات لدرجة نهمل معها ما احتوته تلك الموضوعات من صائب الافكار وهذا هو السبب فى عدم تمكن الطلبة من التكلم بتلك

اللغات . ومما فذهب بفائفة التعلفم وفعبر نقصا مشفنا جعل الطلبة ففكلمون اللغات بنطق ففالف بالمرة للفونافن والرومانفن بل بفلاف ما ففكلم به ام هذا العصر الانحى بما ففها اسكوفلانفا

ولا فربى طرفة ففلفنا ففك اللغات ملكة بلاغفها عنفنا مع أنها لم فكن الا جزا قلفلا مما ففلفمه وفف كان اهماق الاقمفن كفشرا بما فلفم للعاملة لففمفم الفربة وفعل أساسها المفل الفطرى المشفرك بفن فمفع الافراف وفففن لنا ففك ما فشملفه الجملة اللاففنة^(١) «ففعلم الالف من المعاملة» ومع ففك فما كان فعرف شكفسفر الاقلفلا من اللاففنة وأقل منه من الفونافنة ومهما أصفف الى ففب هفه اللغات من الشرح والففان فانها لا فزال ففر كاففة لففلفنا وفل من ففصر ففلفمه على ما فى الففب ولا فرفع الى ما فى الطففة والعالم ففقصه فافما بعض الشئ ولا فكون رجا كاملا ولهذا فان جزا عظمفا من ففلفنا قلفل الففوى وفنطبق ففك على قول ففسس آف فروف^(٢) «اننا فى ففلفنا كمن فقرأ ففابا فى علم الفباباف على فستان أزهار و فؤمل من ففك فمؤها»

ولا فكفى أن فحفظ فافما بل ففب معرفة مواضع الفجاوز والنفسان ولفس الفعلم للففرف فحامفا أوفقفها أوففففا أو مفسرنا بل لفكون الناس رجا لا وفقال مفلون» انما الفربة الشرففة الفامة هى الفى فعف الانسان لآءاء واجبابفه الشفصففة والعمومفة بففوق ومهارة وعلو همة سواف فى وفق السلم أو الفرب»

Litteræ humanieres (١)

Guesses at Truth (٢)

وقد تسرعت الفلاسفة في تقريرهم امكان حل كثير من المسائل بما يتداول على الألسنة . من ذلك سؤال بليطارق « هل البيضة هي التي أوجدت الدجاجة أو ان الدجاجة هي التي أوجدت البيضة » فقد استند لتأييد الرأي الاخير على أنه يقال بيضة دجاجة لادجاجة بيضة . ومما يبين النقص في تعليمنا كما ذكرت أن القليل منا من يستمر في طريق التربية بعد خروجه من المدرسة على أن الانسان يتعلم مادام فيه نفس الحياة وفي الامثال «عش وتعلم ماعشت»

ولكنه من المهم معرفة ما اذا كنا نكتفى بما نلتقطه من الصحف والروايات أو نسلك طريقا يشبه ولو قليلا طرق التربية المنتظمة القانونية ؟ ولقد ذكرت في غير هذا الموضع رأى حجة فيما يجب استخلاصه من كل علم وأذكر هنا رأيا يماثله للاستاذ هيكسلى ^(١) «يجب أن يكون كل تعليم صحيح كافيا ليكون الشاب الذى لايزيد عمره عن خمس أو ست عشرة سنة قادرا على قراءة وكتابة لغة وطنه بسهولة ودقة مع بعض البلاغة التى تستفاد من قراءة كتب المؤلفين عارفا بمجل تاريخ وقوانين بلده وأهم قواعد الحياة الاجتماعية حاصلًا على الضرورى من العلوم الطبيعية والنفسية والحساب والهندسة وبعض مبادئ منطقية يكتسبها من التجارب وبعض الكتب أما الموسيقى والرسم فتكون له كدواعى سرور لاشغلا شاعلا»

ويميل الكثير منا لمشاطرة جون هنتر ^(٢) فى قوله « كنت أود دائما

(١) Huxley طبيعى انجليزى ولد سنة ١٨٢٥

(٢) John Hunter

في شبابي ان أعلم كل شئ عن السحاب والحشائش وأعرف السبب في تغير أوراق الاشجار في الخريف وألاحظ النملة والطير والضفدع ودود القز في الشرقة وكنت ألحف في السؤال من الناس عن كل شئ جهلوه أولم يعتنوا به»

وقال لوك في كتاب شرح التربية «لأقول عن الكتب الا أمرا واحدا هو ان اقتناءها ليس بالجزء المهم في تعليمنا واللازم أن يضاف اليه أمران يساعدان كثيرا وهما التفكير والمناقشة فان المطالعة واسطة لجمع المواد الاولية التي قد يحذف منها بعضها لعدم فائدته أما التفكير فوظيفته انتقاء ما بقى من هذه المواد وتأليفها مع بعضها البعض . فان الكتب كمخزن لأدوات البناء ووظيفة التفكير انتقاء الاخشاب ونحت الاحجار ورصفها ثم تشييد البناء ووظيفة المناقشة مع الصاحب (لان المناقشة مع غيره لاتفيد كثيرا) البحث في تركيب ذلك البناء والتفرج على ما فيه من الغرف والنظر في الانتظام والتوازن وتوافق الاجزاء ومعرفة محاسن وعيوب كل منها فالمناقشة هي الوسيلة المثلى لاحتراز ما ينقص الانسان ويزيد معلوماته لانها ترينا ما نجهله من الحقائق وتنقش في عقولنا كالمطالعة والتعمق نتميس الفوائد «

٧

في التربية الشخصية

وظيفة التربية تحسين العوائد والاخلاق وتبتدئ من سن الطفولية وتترقى في المدرسة ولا تقف عندها بل تستمر في النمو استمرار الحياة سواء أقر الانسان بذلك أو لم يقر . فلا يجب الاقتصار فيها على ما نتعلمه من الصدف بل يجب بذل الجهد في السعى وراء الحصول عليها وقد قال جيبون (١) « لكل منا تربيتان واحدة يتعلمها من الغير والثانية من نفسه » والثانية منهما على جانب عظيم من الاهمية لان ما نتعلمه من أنفسنا يفيدنا أكثر مما يعلمه لنا الغير وقال لوك « لم ينبغ عالم حقيقى أو حصل أحد على ميزة عالية بمجرد اتباعه نصائح معلمه وارشاداته » فمن يجد نفسه غير مميز في فرقته لا يئأس مطلقا اذ ليست العقول النيرة هي التي تتجح ضرورة في أول الامر نعم ان الاهمال يوجب عظيم الخسرة ولكنه لا ينبغي لمن لا ييسر له النجاح أن يقطع الأمل من الاجتهاد فيما بعد أو يبنى ضياع المستقبل على عدم تمكنه في شبابه لان من يجد في طلب أمر ويثبت في عزيمته بشره بالنجاح وكثير من امتازوا في صغرهم لم يبلغوا شأوا يذكر في الحياة وغير واحد من أعظم الرجال رغما من عدم اشتهارهم في المدارس بلغوا أسمى درجات النجاح بعد فان ولتوتون و نابليون لم يكونا في صغرهما ممن يرجح فيهم عظيم التقدم

(١) Gibbon من مشاهير مؤرخي الانجليز مؤلف كتاب تاريخ سقوط

مملكة الرومانين (١٧٣٧ — ١٧٩٤)

وكذلك كان نيوتون وسويفت وكلايف وسير والتر سكوت شريدان وغيرهم من مشاهير الرجال

ويقول البعض عن توفد القريحة « انه ميل فطرى شديد لكثرة العمل » ويقرب ذلك من الحقيقة ويقول ليلى « اذا لم يساعد الطبع فكل عمل لا يفيد كما لا يفيد الطبع بغير عمل » ولكننا نجد من جهة أخرى أولادا نبهاء متقدمين لا ينجحون فى الحياة لضعف فى الصحة أولنقص فى الالتفات او العزيمة ومثلهم كما قال جوث « كشجرة تحمل زهرا مزدوجا بدون ثمر » وعاقبتهم تكون فى الغالب وخيمة فى حين أننا نرى أولادا أقل منهم ذكاء ولكنهم أدق التفاتا ورقة فى الطبع صعد نجمهم وعلا قدرهم وتقدمت بهم بلادهم

وقد يشك البعض فى قدر العلم وهذا ناشئ كما قال أرنولد « عن الخلط المشين بين سلامة القلب والجهل الواجب تمييزهما اذ لو جردنا انسانا من معلوماته لم يصرف لطفه فقط بل بهما من شربها ثم الخليفة وأ كثرها ضرا » وقد أثبت فى موضع آخر « أنه اذا أهمل الناس المرشد الامين فى الحياة صاروا أرقاء شهواتهم وسقطوا فى شرك المفاسد فهم بذلك يضمون الى جهل الطفولية نقائص الرجال » ومن حسنت تربيته فى المدرسة لا يعيقه عن الاستمرار شئ فان الغاية من التربية الصحيحة هى كما قال سيدنا سليمان « اظهار دلائل الحكمة والمعرفة والعمل بأقوال الحكماء واقتناء تعليم مطابق للعقل ولقواعد العدل والحكمة والمساواة واجاد قوة التمييز بين البسطاء والعلم والمعرفة عند الشبان » وقال تورو « ينحرف الرجل عن طريقه لالتقاط درهم ولكنه يهمل الاقوال الذهبية التى قررتها الحكماء من قديم وحققها العقلاء

في كل آن وزمان» وفي المثل الفرنسي «ليتنا نعلم في الشباب لتقدر في الشيخوخة» والتربية الحسنة هي التي تكسبنا المعرفة في الشباب والقوة في الشيخوخة ولكنه لا ينبغي تجربة كل أمر لنعلمه فان التجربة كما قال فرانكلن «مدرسة تستنزف طائل المصروف ولا يتعلم فيها الا الحق»

والدقة في الابتداء من أعظم وسائل الفوز في الحياة ومن يحسن البداية يسهل عليه النجاح ومن يهملها يصادف أتعابا كثيرة
وانقش في مخيلتك كل ماتجده حسنا في الكتب وأحوال الرجال والافكار والمبادئ ولا ينجلك قصر علمك عن أحد أصحابك فانما يكون الحجل من جهلنا ما كان في قدرتنا معرفته ولا تقتصر التربية على معرفة اللغات وحفظ الوقائع فهذا شيء آخر يخالفها لان العلم يكون كنوزا تنتفع بها في مستقبل العمر ولكن التربية تغرس أصولا تأتي بأضعاف أضعاف قدرها . ولم تعرف لانا حقيقة مزايا العلم ولو أنها قليلة في جانب الحكمة فقد يقول البعض « ان من يتعلم يتيه عجا بما أوتي من العلم ولكن الحكيم ينجل من عدم معرفته أكثر مما عنده» وحقيقة فاننا لانعرف الا قليلا وكل من يتعلم يعلم أن ماتعلمه ليس بالكثير

ويخطئ البعض أيضا في قوله «ليست المعارف الا كتلة مشوشة عديمة الفائدة وانها فقط مواد تستعملها الحكمة في بناء التراكيب» ولكن من لم يعتن بانتقاء تلك المواد لم يكن ذا معرفة ومهارة كما أنه ظهر فضل كثير من العلوم كنا نراها في الزمن الاول عديمة الفائدة : قال كنجسلي «قد استفدنا من الكهرباء اقتصاد الزمن ومن الكتابة توفير الكلام والحركات ومن القوانين الاجتماعية اقتصادا في الدرهم ومن القوانين الصحية تحسين

الصحة ومن تقوية الفكر تقليل التعب المحي أما ما استفدناه من قوانين النفس فحدث عنه ولا حرج» وقال سينسر «اننا نهتم بالحصول على العلم لانه يحفظ الحياة ويضمن أسباب العيش ونيل الصحة ويرشد الى الواجب والسير في طريق الحياة الاهلية (الضرورية لكل وطني) ويجعلنا نستفيد من الفنون والصنائع بأنواعها وهو أيضا المنظم للعقل المحي للادب المرشد للدين» وقال استانلي «الميل لمعرفة الحقائق أمر محمود ولكنه نادر واننا ما عرفنا فوائد بعض الاكتشافات العلمية التي عثر عليها العلماء بغير ما قصد منهم سوى الميل لمعرفة الحقيقة الا بعد مضي أجيال من تاريخ ظهورها» وقال سيدنا سليمان «يتأمل العاقل ليزيد قوة حكمته» وحقيقة فان المعلومات التي لا تنفذ قليلة جدا وكذلك ما يلزم لمعرفته ان نراه مرة واحدة فلا توجد أمور صغيرة انما العقول هي الصغيرة

وانا لتأسف كثيرا على عدم وقوفنا على أسماء بعض أعظم المكتشفين وكنا نود معرفتهم لشكر لهم حسن صنعهم فانهم ما قاموا البتة بهذه الخدم الجليلة لغرض شخصي أو طمعاني نيل فخر

والالتفات الصحيح والاجتهاد المستمر في كل عمل من أوجب ما يلزم لمن يريد التمتع حقيقة بالحياة فاذا أعرت عمالك نصف التفاتك أضعت فيه ضعف الوقت الذي كان يكفي لاتمامه

وانه ليحزننا أن نرى المسرات الادبية لم تزدلانا في سعادة بني الانسان الا قليلا مع أن الاصل اليوناني لكلمة مدرسة معناه الراحة والرياضة

ونرى فى أصول مذهب الرافضفن أموراً كثفة لا فسلم بها العقل انما عندهم بعض ما فمجد (فان المحبة قاعدة لهم والترتفب أساس والنجاح غاية) ثم نرى كما قال فمرسون « كثرفا من الناس فعبءون الله مقتصرفن على ما علموه عن آبائهم ولم فعتنوا بواجب تئمة القوى العقلفة »

والانسان وحدة كل شئ وهو الذى فقفس ارتفاع الجبل الشامخ وعمق المحيط وقاعدة حسابنا مؤسسة على عءء الاصابع ومع ذلك فسا أضعفه وما أكثر احتفاجاته وما أسمى الدرجات التى فمكنه ففلها ! وهو كما قال فسكال (١) « مخلوق ذو فكر أى أنه ففخفل وفحقق فعرف القفلل وففجهل الكثر فرفءولا فرفء ففصوء وففس (٢) » وكما قال عنه فى موضع آخر « انه كقصبة من أضعف المخلوقات الا أنه ذو فكر فلا ففجب أن ففسلح كل الملا لكسره اء فكفى لقتل الانسان قفلل من البخار أو نقطة ماء ولكنه متى قتل صار أشرف بكثر من قتله لفقفنه أنه لامحالة مائت وجهل قاتله ذلك » وفلفزم لتمام كمال الانسان عقل وقاء وقلب مخلص وحاكمة ثابتة وجسم صففح فاذا لم فكن العقل قوفا التوت علنا الأمور وفءخلنا حب الذات اذا فجردنا عن الاخلاص ولا فقدر على العمل بففر صفة وتصففر المقاصء الحسنفة مجلبة للضرر اذا لم نستعن بالقوة الحاكمة

(١) Paschal من أشهر علماء الفرنساوففن فى الفلسفة والرياضة والطبفة

(١٦٦٣ — ١٦٦٣)

« Res cogitans, id est dubitans, affirmans, (٢)

negans, pauca intelligens, multa ignorans,

volens, nolens, imaginens etiam et sentieos. »

واننا اذا اردنا مدح صاحب نقول انه رجل كامل التهذف اى انه كما قال تا كى ربه « رجل مستقم حسن الشائل عاقل مقدم» على أنه فندو توفر هذه الصفات فى واحد

وأصح طرق تهذف الانسان لنفسه هى كما قال چون استيار ميل « أن فعتنى بتمحص الامور صغفرها وكبرها ولا تثنى عزمه أفة. صعوبة ولا فقبل رأفا من أى سلطة كانت الابد فخص دقق وانتقاد انكارى حق بحت لا نفوته سفسة أوعدم ارتباط أو خلط فى الافكار و فشرط خصوصاً تحديد معنى كل لفظ استعمال وأن فكون المراد بكل عبارة واضحة وهذه هى الدروس الحقيقية الواجب معرفتها» وكل الناس فى قدرة من ذلك لأن المبادئ الأولى لكل تربفة سهلة على الجميع ولا ففضل ففها الرففع الوضفع ولا الفنى الفقفر فان السفر چونز (١) حصل بثروة قروى على تربفة الملوك وقفل من قديم « ففس من طريق ملكى فوصل للعلم » ولكننا نقول الآن « ان كل طريق فوصل للعلم هو طريق ملكى » واننا باتباعنا هذه النصائح نبلغ أسمف المقاصد لان التربية فجل لنا تاريخ الماضف وتعلمنا أن كل شئ آخذ فى الوضوح والرقى وتجعلنا نتمتع بالآداب العمومفة وتفر عقولنا بفقائق الطبفة وتفجر لنا عفون الثروة أنف فكون

(١) Sir. W. Jones من علماء المستشرقف وفد بلوندره سنة ١٧٤٦ وكان محامفاً بها ثم فولى القضاء بمحكمة كلكتونا بالهند ومات هنالك سنة ١٧٩٤ وكان يعرف عشرين لغة وترجم جملة كتب الى لغات مختلفة منها المعلقات الى اللغة الانجليزية

واذا لم يتيسر لنا أن يقال عنا كما قال شكسبير « اننا كنا رجالا لن يسمح الدهر بمثلنا » فانه في مقدرتنا على الاقل أن نتجمل بمحاسن الحياة واذا لم تكسب التربية نتائج حسنة فانما يكون الخطأ من طريقة التربية نفسها لا من عقل المتأدب لان الرجال كما قال ييكون « لما علموا بفائدة العلم حصلوا عليه بالبحث اما لميل فطرى أو رغبة الاكتشاف أو لتفكهة عقولهم بحقائقه أو لتزيين أفكارهم أو لالعجاب بمعلوماتهم ويندر من كان قصده استعمال ما أوتيته من المعرفة في خدمة بنى الانسان . مثل ذلك كمن يقصد بالعلم طبقة يريح عليها فكره الباحث أو تروض فيها نفسه المترعة أمام جميل المناظر أو صرحا ملؤه الكبر لتعتصم به نفسه المتعالية أو حصنا للمضاربة والمشغبة أو مستودعا يأتيه بوافر الربح لا كنزا نفيسا لتمجيد الخالق والاخذ بناصر بنى الانسان »

٨

في خزانات الكتب

لقد أطرى أحد كبار الانجليز (ريشاردى بورى) منذ خمسة قرون الكتب فقال « ها كم المعلمون الذين يعلموننا بغير ماعصاة ولا مقرعة ولا يسيئون المعاملة ولا يفضبون ولا يطلبون هدايا أو دراهم ومن اذا دنوت منهم لا يثأون عنك واذا سألتهم لا يخفون عنك شيئا واذا تفاضيت عنهم لا يشتكون منك واذا كنت جاهلا لا يسخرون بك »

فاذا كان هذا قولهم فى قديم العهد ألا يجدر بنا العمل به الان وقد طبعت الكتب وصارت زهيدة الثمن سهلة الاقتناء والمطالعة صغيرة الحجم خفيفة الحمل بعد أن كانت ضخمة عسيرة الحمل والقراءة ! ومطالعة الكتب العلمية البحتة صارت أسهل من مطالعة أى كتاب قبل ولقد كثر عدد الكتب وطبعت منها كميات وافرة ووجدت كتب كثيرة من قديم المؤلفات الأدبية كانت فاقدة وكانت القصص الادبية معدومة فى زمن دى بورى وأصبحت الآن عديدة وما كان فى عصره دواوين شعراء كشكسبير وميلتون وغيرهما من شعراء العصر وكان علم الكيمياء وطبقات الارض وكثير من الاكتشافات مجهولا وعلمت الآن فاستفدنا منها كثيرا . قال شوپنهور^(١) « اذا لم أزد من العلم فائدة فانى عرفت منه على الاقل ان أقتصد كثيرا » وقد نشأ عن العلم أن زادت ايرادات الامم مما لا يحتاج لبيان ويحسب البعض ما ينفق على تأسيس المدارس وخزانات الكتب ودور الآثار مصاريف هائلة مع أنها فى الحقيقة رأس مال محفوظ لسعادة الامة وفائدتها

وينتقد البعض قولى بقرب اليوم الذى تكون فيه العمال وأصحاب الحرف أكثر الناس اشتغالا بالمطالعة على انى ما قلت ذلك الا لعلمى أن دور الكتب الحرة لا تؤسس فى بلد من بلادنا الا بكثرة أصوات ساكنيه وعدد رجال الكنائس والمشتغلين بالعلوم العقلية قليل فهم حينئذ العمال

(١) Chaupenhauer فيلسوف المائى شهير نبغ فى علوم شتى وهو

زعيم سئى الظن فى العواقب له مؤلفات كثيرة ترجمت الى جملة لغات وقد ترجم معرب هذا الكتاب رسالة له عن النساء تظهر دقة نظر

الرجل (١٨٨٧ - ١٨٦٠)

وأصحاب الحرف وصغار التجار الذين يطلبون تأسيس دور الكتب للمطالعة فيها . والكتب من جهة أخرى ضرورة لعمال المدن لان حياتهم ليست متنوعة كحياة غيرهم فان المتوحش نفسه يشتغل بصيد الغزلان ودرس طرق صيدها وعوائدها وبمعرفة مواقع مرعاهها ومأواها وأوقات الصيد في البر والبحر ويصنع لنفسه مايلزمه من الآلات والعدد والمساكن فهو بهذا السبب يتوق شغله ويشكل غذاءه . وكذلك المزارع فانه يحرق أرضه ويزرعها ويحصدها ويشغل بتربية بقره وغنمه وغير ذلك وفي هذا مع صعوبة من السرور واللذة مالا يخفى .

حكى عن رجل أنه سأل خادمة وردسورث عن حجرة شغله فدلته على غرفة نومه وقالت له ان محل شغله هناك وأشارت الى الغيطان .

ونعلم مما تقدم أن عمال المصانع هم الذين يقضون حياة مملة فانهم يكلفون بعمل واحد أو بجزء من عمل يشتغلون فيه طول حياتهم فاذا لم يتنوعوا تلك الحياة بمطالعة الكتب كانوا كآلة تتحرك لاتى ولا تعقل . وقد نقصت ساعات الشغل فلا ينبغي لهم ضياع وقت الراحة في الكسل لان الراحة من أعظم الفضائل والكسل من أقبح الرذائل والاولى سبب سعادة والثانى منشأ كل ضرر بل عليهم أن يشغلوا بالمطالعة كثيرا من أوقات فراغهم

وماتوسيع نطاق مدارسنا وانشاء خزانات للكتب فيها الا لتحسين تعليم أبنائنا وبث روح حب المطالعة في نفوسهم وتوجيه أنظارهم بصفة خاصة الى فوائدها كما ان المكتبات مدارس الرجال

يحكى أن الملك الفريديما كان طفلا أراد أخذ كتاب فقالت له

أمه : « سيكون لك حينما تقدر على مطالعته » وبهذا الشرط حصل الملك على الكتاب . فمتى تعلمت أولادنا القراءة أيضا يجب مكافأتهم بنفيس الكتب وهي كثيرة وليس نفيسها بغالى الثمن وربما كانت لذة المطالعة هي الشيء الوحيد الذى لا يرتبط بالغنى أو الفقر والمشتغلون بالاعمال مثلنا يشعرون أحيانا بعدم كفاية ما عندهم من الكتب ولكن الثروة فى الغالب تمكننا من شراء ما لا نستطيع مطالعته من المجلدات

ولا ينبغي للشبان أن يقتصروا على الاشغال اليدوية أو يضيعوا كل أوقاتهم فيها بل عليهم تخصيص أوقات للمطالعة والاشغال العقلية لانماء مداركهم ونفع بنى الانسان بمعلوماتهم ومن ظن هذه الاشغال لاتليق الا بالفلاسفة وأذكاء العقول وبمن يستطيعون شراء أجهزة خاصة فقد أخطأ لان ثروة بلادنا كما أنها تنسب الى ملوكنا العقلاء وكبار رجال الحكومة وجندنا الباسل فى البر والبحر والى المكتشفين الشجعان الذين أنشؤا بعلومهم واسع مستعمراتنا والى الفلاسفة وذوى العقول المفكرة بل تنسب كذلك الى الصناع الواجب علينا شكرهم أيضا الذين لم يقتصروا على افادة البلاد بنتائج أيديهم بل أضافوا اليها كثيرا بقوة عقولهم فقد كان (وات) ميكانيكيا و(هنرى كورت) الذى كان أبوه بناء أضاف باكتشافاته الصناعية ثروة للوطن توازى الديون العمومية وكان (هنتسمان) الذى اخترع سبك الصلب صانع ساعات و(كروتون) نساجا و(ودجود) صانع فخار و(برندلى ونكفور وميشات ونيلسون) صناعا و(جورج استيفانسون) راعى بقرينقداربعة صلديات فى اليوم وما تعلم القراءة الا فى الثامنة عشرة من عمره و(دالتن)

كان أبوه نساجا و (فارادی ونيوكومن) أبناء حدادين وكان (اركرایت) حلاقا و (السير همفري دافى) خادما صيدلى و (ابولتون) مؤسس مدينة برمنجهام ابن أحد صنّاع الازرة و (وات) ابن نجار وغيرهم ممن يحق لنا الافتخار بهم كافتخارنا بقواد الجيوش ورجال الحكومة و نترككم أحيانا عن « الامم المتعدنة » ولا يشك أحد في أن بعض هذه الامم تتفاوت في استحقاقها تلك الصفة ولكنه في الحقيقة ما من أمة تستحقها بجميع معانيها فعلىنا اجتهاد النفس في سبيل الحصول على المدنية الحقّة ولطالعة الكتب لها في ذلك النصيب الوافر وكثير من الناس من تشبه حياتهم حياة المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة فليربأوا بأنفسهم ولا يجعلوا حياتهم لهذا السبب خاوية الفوائد منشأ للصائب بل عليهم أن ينشطوا النفس ويتنوعوا تلك الحياة بمطالعة مفيد الكتب

قال السير جون هرشل أحد كبار علماء الانجلىز « لو خيرت انتخاب ما أحفظ به حياتى وأروح فيه نفسى وأصونها من ظلم الناس وشرو الدنيا لاخترت المطالعة لان من تيسرت له أسبابها يصير ولا شك سعيدا حيث تتجلى أمام عينيه أحوال الامم الغابرة ويكون كمن عاش مع جميع أفرادها وكأما خلقت الدنيا له »

وتكاد تكون الكتب في عداد الاحياء وهى كما قال ملتون « تشمل عناصر حية فعالة كالنفس التى أنشأتها » ولم يمت كبار الكتاب فقد قيل « ان ذكرى كبار الكتاب لخالدة لاومن كان عمله خيا فهو حى في القلوب ولو مات »

ولقد أمر الدوق دوربان مؤسس دار كتب مدينة أوربان بتجليد جميع الكتب الموجودة بها بالارجوان الموشى بالفضة وقال لامب «يجب شكر الله قبل مطالعة كتاب جديد كما يجب حمده عند الأكل»

٩

(في المطالعة)

الكتب لبني الانسان كالحافظة الأمانة للرجل فاننا نجد فيها تاريخ الامم ومكتشفات الرجال وجليل حكمة العقلاء وخلاصة التجارب في سالف العصور كما أنها مرآة عجائب الطبيعة ولطائفها وهي الآخذة بناصرنا في أوقات الشدائد الموسمية لنا وقت الاحزان والمتاعب وهي التي تبدل ضجرتنا سرورا وتملاً أذهاننا بمفيد التصورات وثاقب الافكار فتقوم ما بنفوسنا وتبعدنا عن الهموم والمصائب : من أقاصيص الشرقيين أن أحد الملوك كان يرى في نومه كل ليلة أنه صار شحاذاً وأن شحاذاً كان يرى بعكسه أنه صار ملكاً مقرباً بدخ قصر . وانا لا ندرى من كان منهما أسعد حظاً . الا أن للتصور أحياناً تأثيراً أشد من الحقائق كما أن المطالعة تجعلنا ملو كاحقيقين وتسكننا أبجل القصور وأجل من ذلك أنها توجه أفكارنا الى أسرار الجبال والبحار وترينا عجيب مناظر البلاد بغير ماتعب انتقال أو ملال فكر أو كثير مصرف . وقال فليتشر (١) «دعني أروض النفس فيما حلا لي فاني مع كتبتي كملك في قصره أتكلم في كل آن مع عقلاء وفلاسفة السلف ثم أتوق سروري بمخاطبة الملوك والامبراطرة وأخص مجالسهم وأدقق النظر فيما كسبوه من الوقائع وأمقت ذكركم متى كانوا قد اكتسبوا بغير حق شرعي وأهدم التماثيل

التي شيدت لهم بغير حق وهل يتصور بعد ذلك أنى أترك هذه
المسرات الحقيقية لأجمع أموالا دينئة القدر غير محققة ؟ اصرف
همتكم ان شئتم الى جمع الذهب أما أنا فلا أهتم بغير تعزيز قوة علمى ! »
وكثيرا ما نشبه الكتب بالأحباب ولكن الموت الذى لا يرفق بأحد
يسلبنا أعزهم وأكثرهم فائدة والدهر بالعكس يعدم ردىء الكتب
ويرفع شأن نفيسها ولقد عزا كثير من ذوى الثروة الطائلة سعادتهم
العظيمة الى المطالعة

قال أشام (١) يصف زيارة الوداع للسيدة چان غراى « انه
وجدها جالسة على شرفة فى دارها مشغلة بقراءة عجيب وصف
أفلاطون الحكيم لموت سقراط فسألها عن سبب عدم خروجها
مع ذويها للصيد فى بستان الدار فأجابته : إن ما يطلبونه من
السرور فى الصيد ليس إلا ظل ما أستخلصه من لذيذ المسرات فى
مطالعة افلاطون » ونرى فى تاريخ حياة ما كولى صاحب الثروة
الطائلة والشهرة الفائقة والصحة الجيدة أنه كان يعتبر ساعات
مطالعه أسعد أوقات حياته وأنه كتب فى جواب لحفيده يقول
« أشكر لك رقيق كتابك الذى سرنى كثيرا باعلامى أن حفيدتى
فى تمام سرور وهناء بال ولا شئ يزيدنى فرحا أكثر من رؤيتها تؤثر
المطالعة وتحب نفيس الكتب فانك متى تبلغين من العمر مثلى يتجلى
لديك عظيم فائدة الكتب عن غيرها من الفطير والحلوى والألاعيب
والمسلاهى الدنيوية . ولو خيرت أن أكون أكبرملك فى الأرض

ولى جميل القصور والبساتين ولذيذ الطعام والشراب وثمين العربات
وفانح الشباب ومئات الخدم واشترط علىّ في كل ذلك التجرد
عن الكتب لرفضت ذلك الملك بغير مطالعة وقبلت العيش فقيرا في
عشة ومعى كثير من الكتب »

والكتب حقيقة تملكنا مفاتيح جميل القصور وكما قال جان بول رشت
« يرى من أعلى جبال الپرناس أبعد مما يرى على سدة ملك »
وتبعث الكتب في فكرنا حقائق الأشياء بأوضح من الحقائق نفسها
فاذا لم تفدنا مطالعة كتاب فليس للكتاب من ذنب لأن معرفة القراءة
فنّ ولا تفيد كثيرا مطالعة بغير تمعن ويظن الكثير أنه يعرف القراءة
والكتابة على أن القليل منا من يعرف أن يكتب أو يستخلص من
القراءة فوائدها الحقيقية

قال أشام « تعلم المطالعة الصحيحة في سنة ما تعلمه التجربة في
عشرين سنة إلا أنه لم ينشأ عما نتعلمه من المطالعة خطر وأما التجربة
فانها كثيرة الألم صعبة التعليم فان القبطان الذى لا يصير ماهرا إلا
بكثرة حوادث الغرق هو قبطان نعيم الحظ والتاجر الذى لا يفتنى
أو يتدرب على العمل إلا بكثرة التفاليس هو تاجر حقير وكذلك
الحكمة التى لا تدرك إلا بكثرة التجارب هى حكمة غالبية الثمن »

واتخاب الكتب كانتقاء الأصحاب وعلينا مسئولية ما نقرأ كمسئوليتنا
عما نفعل فعلىنا أن نستخلص من الكتب أعظم ما تروح اليه النفس
ان لم يكن أعظم ما يمكن من الفوائد وأن نجعل مطالعتها لتقويم الفكر
لا لضیاع الزمن

وتباین الكتب فی قيمة الفوائد فللكتب السهلة المطالعة المسلیة للنفس فائدة ولكنها كفاءة السكر وهو عنصر مهم للتغذية ولكنه لا یکفی وحده لحفظ الحیاة . أما ردیء الكتب فكفاهها ذمّا أنها رديئة وقراءتها ضیاع فی الوقت وبعضها مفسد للاخلاق نعم ان اطلاع العاقل علی مثل هذه الكتب یزیده وعظا ولكنه لا یفوتنا أن کل ما یجعلنا نألف الشرّ شرّ . علی أنه یوجد من حسن الحظ عدد عظیم من مفید الكتب التي تفیدنا قراءتها وترقی فکرها الی أعلى مدارکة وتنسینا مشاغل الدنیا ومتاعب الحیاة

و یصعب قطع المطالعة فقد قال هامرتون « اذا تصوّرنا مطالعا مشغلا بقراءة کتاب یبحث فی التمدّن القديم كقراءة دفاع سقراط فی کتاب أفلاطون وشکل أمامه تلك المناظر ورأى مجلس الخمسمائة مجتمعاً ومحاسن الصناعة یونانية بالغة حدّ الاتقان وأهالی البلاد مشرّبة الأعناق وملیتیس والأعداء مملوءة القلوب حقداً والأحباب آسفة ووسط هذه الجموع رجل فی زیّ الفقیر علیه ردائه الخشن ملبسه فی الشتاء والصیف بوجه حافظ لونه العادی تبدو علیه لوائح الشجاعة والحرية مما لا یقدر علی وصفه الواصفون ثم یسمع صوته المطمئن یقول : « یموت الرجل الحیّ ولكن ذکره لا یموت (١) » ثم ینتقل المطالع الی الکلام علی ما فعل سقراط بنفسه من شربه السم . فاذا لم یقطع ذلك المطالع فی قراءته حتی النهایة یشعر ببعض تلك المسرات الشریفة التي هی خیر مكافأة لكل عمل

(١) « Τιμᾶται δ' οὖν ἀνὴρ θανάτου εἶεν. » تیمائی ذیون أنیرنا ما قوا بی

عقلي فان من يقرأ ولو ساعة واحدة في كتاب حسن مفيد يزداد
سعادة في النفس وكمالا في العقل ويستمر هذا السرور فيغذى
أفكاره ويقوى مداركه

وقد ورثنا بلاغتنا عن آبائنا فهي حق لا يمكننا التجرد عنه وقد نبغ
منا وسيوجد فينا أكبر الشعراء والفلاسفة وأعظم رجال العلم
في العالم مما يعز على أى أمة أخرى مفاخرتنا بمثلهم ونستفيد من
بلاغتهم فوائد أكثر من التجارة وقوة أمكن من قوانا الحربية لانها
أسمى عنوان شرف بلادنا . ومهما عظمت عبارات افتخارنا بها
فانها لا تخرج عن حد الحقيقة

١٠

في حب الوطن

ما قصدت من ترجمة هذا المبحث غير ذكر مثال صحيح يعلمنا الذة حب
الوطن ومقدار ولوع الانجليز بهذا الحب الشريف وتعاليمهم فيه وافتخارهم
به وهكذا شأن كل أمة حية تعمل على رفع منار وطنها ونعم هذا الفخار
قال المؤلف :

اذا سألت قلوبنا عن الوطن الذى تحب دوام ارتقائه لأومات بلا
ترد الى « بلاد الانجليز » تلك البلاد التى أصبحت مع صغر حجمها
صاحبة العلم الخفاق على العظيم من السفن التى تمخر البحار .
تلك البلاد الواقعة فى أحصن مواقع الارض المتمتعة بمنطقة متوسطة
الحرارة ولا يغيب عن سماء أملاكها قرص الشمس . تلك البلاد

غنية التربة التي قال في وصفها أحد رجال السياسة بأمريكا « يخفق علمها على سطح البحار وحصون الثغور وتدوى طبول جيوشها في جميع الأصقاع » تلك البلاد التي لم تبعث بجنودها الى أنحاء الأقطار لمعاداة بني الانسان بل لحفظ النظام . تلك البلاد التي تدرجت سلم الرقي حتى وصلت النهاية مسترشدة بخير أعمال السلف من بنيا وتبث في روح المعاصرين منهم الهمة والنشاط ليعملوا على حفظ هذا الشرف العظيم . تلك البلاد التي قد يأسف الانسان عند مطالعة تاريخها ولكنه لا يلبث أن ينشرح الصدر ويسر الخاطر عند ما يقارنه بتواريخ البلاد الاخرى فيتصور ألا مذابح في بلادنا حصلت ولا فظائع ارتكبت ولا مشاكل أقيمت . تلك البلاد التي يحارب جندها الباسل ويبرهن بقوة ومهارته على اعالى غيرته الوطنية ويوقع في قلوب الأعداء الرعب وفي صفوفهم الفشل . تلك البلاد التي ما تعودت جمع ضرائب من مستعمراتها وتوابعها كما كانت تفعل دول اليونان والرومان في قديم الزمان وكما تفعل غيرها الآن بل تتفق جسيم المبالغ لاصلاح داخلية تلك المستعمرات وكل ما تجمعها من طفيف الضرائب لا يوازي قليل ما تصرفه في سبيل ذلك الاصلاح

فاننا ربطنا على بلاد الهند مالا لا يذكر إزاء ما تتكبده من طائل المصاريف في شؤونها ولولا رغبتنا في تعزيز المواصلات بيننا وبين الهند واستراليا لما تحملنا مشاق الصرف على بوغاز جبل طارق وقد أحسنت جنودنا البحرية معاملة الهنود فجعلتهم يتمتعون في بحبوحة الراحة وهناء الحرية وكل ما يدفعونه لنا سبعون ألف جنيه

وهو مبلغ زهيد مقابل ما يصرف على الأساطيل التي تحميهم
وما كانت غايتنا الوحيدة من امتلاك بلاد الهند سوى اصلاح
داخليتها ومساعدة أهلها على تعميم الأمن والنظام فقد كانت مختلة
الشؤون تضرب في بطونها فظائع السلب والنهب وكان الملك مستأثرا
بنحوسيتين في المئة من حاصلات الجبوب لنفسه والحكومة
بثلاثة وثلاثين في المئة أيضا والأهالي مهملة في الفقر المدقع
والاحتياج الشديد . ويؤيد هذا القول ما نراه الآن من ميل الهنود
الينا واحترامهم لدولتنا ونحن من صغير لكبير نعاملهم باللطف واللين
ولو كان لنا مطمع في ممتلكاتهم مابق لنا أثر لآن بينهم . ولاحظ
أحد رجال الانجليز في الهند أن الأهالي من بلاد (أجا الى دلاى)
ظنوا حكم الانجليز قد تقلص ظله فأخذوا في تحصين القرى خوفا
من عودة الثورات لما كانت عليه قبل حكمنا

ويزيد هذا القول بيانا مطالعة تاريخ مستعمراتنا فقد قال المستر
وود عند وصفه جزيرة هنغ كنغ « اتنا دخلنا هذه الجزيرة وما بها
إلا قيف من صيادى السمك وصار بها الآن آلاف من الصينيين
الذين هجروا بلادهم للتخلص من الظلم والجور عند تيقنهم دخول
هذه الجزيرة في حكم دولتنا العادلة وتحقيقهم توفر الراحة فيها
والحرية » وقال المستر هرن « بعد انقضاء الخمس السنوات التي
احتلت فيها الدولة البريطانية جزيرة جاوا وعودتها تحت حكم
هولاندا تكبدت الأهالي مزيد العناء لتحمل عوائد وأخلاق
الهولانديين بعد ابتعادهم عنهم تلك المدة

كل هذا يبرهن على أن جل ماننده انما هو صلاح حال الأمم
وراحة بنى الانسان

وانه ليحزننى مايقال من سوء معاملة دولة بريطانيا للايرلانديين
واستعمالها القسوة والشدة معهم على أننا نؤثرهم على أنفسنا ونفضلهم
فى أمور كثيرة فانهم وان كانوا يدفعون ضرائب مثلنا الا أنهم معفون
من عوائد الأملاك وأموال الاطيان وفوق ذلك فاننا نساعدهم
بنحو ثمانية ملايين جنيه فى زمن القحط ولا تزال نميل الى لطف
معاملتهم ونودّ من صميم أفئدتنا منحهم الحرية المطلقة

وعندنا الصلح والسلام من أهم الامور التى نستغنى بها عن الحروب
وحق علينا شكر من سبق من الرجال على اتباعهم هذه الخطة القوية
وتمهيدهم لنا طرقها كما يحق لنا الافتخار بانتشار لغتنا فى جميع الاصقاع
حتى أصبح الناس من كل فج يتكلمون بها . كيف لا وهى لسان
فحول الشعراء والفلاسفة ممن تحلت باسمهم عقول الأنام وتعطرت
بمدائحهم الأيام هاك الشاعر الماجد « ملتن » والكاتب البارع
« شكسبير » و « بيكون » و « سبنسر » وغيرهم ممن تودّ كل
أمة أن يتنسبوا اليها لتفتخر بهم

واننا أرقى البلاد تجارة وأحسنهم فيها سياسة فالدول الأخرى
تحمل أهالى مستعمراتها وتوابعها على قبول مصنوعاتنا ولكننا نترك
لمستعمراتنا الحرية المطلقة فى ذلك لئلا تسأم النفوس من بقائها تحت
ظل حكومتنا

ومن يتأمل قليلا فى تاريخ الاختراعات يجد أن رجال الانجليز لهم

فيها اليد الطولى فقد اخترع «المستروات» السفن البخارية و «المستر
استيفنسون» الوابورات و «المستر اديسون» الكهربية و «المستر
ويتستون» التلغرافات و «المستر فاكس تالبولت» الفتوغرافية ثم
كثير غيرهم . أما في الطب فقد اكتشف «المسترلستر» الدورة
الدموية و «المستر هرقى» طريقة اجراء العمليات الجراحية
وغيرهما من المشاهير مثل كافنديش وبيكون ودالتون ودافى .

ولا يسعنى عند ذكر هذه الاسماء الا تجديد عبارات شكرى لهم
واعجابى بأعمالهم وافتخارى بهم

ولا تطلب انجلترا من أحد الا القيام بواجبه فهى ترفع صوتها قائلة
لكل فرد : هاك أمام عينيك كل ما صنعتته لأجلك فاما كافأتى عندك
أيها الانسان ؟

وكلما راجعنا تاريخ دولتنا ننشر صدورنا من رؤيتها قد نهجت
طريق العدل والحكمة والاستقامة ويزداد أملنا فى أن جميع من
يتكلمون اللغة الانجليزية سيكونون يوما ما أمة عظيمة

وانى أخشى أن ينسبى البعض الى التطرف فى مدح بلادى العزيرة
التي أنتسب اليها فانى لم أتجاوز فى قولى حد الانصاف وهل يلام
الرجل المحب لوطنه المتعلق به وبحب مملكته ؟

ان محبة الانسان لوطنه الذى يعيش تحت سمائه وفوق أرضه
ويشرب من مائه ويتغذى من طيب ثمره لمن أقدس الواجبات بل
بذلك الحب الشريف يرفع الوطن الى أسنى درجات الكمال ويحفظ
ذماره ويزيد شرفه فهانحن مع الافتخار به معجبون بانتشار لغتنا

وعلمونا التي غصنا بها عميق البحار وبياس رجالنا الذين رقوا بالوطن
وأهله الى أقصى أوج الفخار وبعظيم تجارتنا التي ما كان تقدمها
ولا اتساع نطاقها يخطر ببال

١١

في الواجبات الاجتماعية

لكل منا ساعد في ادارة بلادنا فيجب للقيام بهذه المهمة اعداد
نفوسنا وتقوية معلوماتنا وتوسيع مداركنا واحياء ارادتنا خصوصا
وان عظم مملكتنا واتساع أكنافها منشأ خطر والامم التي نحكمها
مختلفة الأجناس لا تطابق أفكارها أفكارنا ولا رغباتها رغباتنا فنجد
بلاد الهند التي يبلغ عدد سكانها عشرة أضعاف انجلترا تقريبا أنها
مقسمة الى أقسام كثيرة تنتسب لأجناس وديانات مختلفة

والهندي الأصلي مثلنا في الانسانية وفي لغته بعض الشبه من لغتنا
في الأصل والتركيب ولكن الهنود الأصليين ليسوا إلا جزءا من
السكان وكذلك فانهم وان ابتعدوا عنا عهدا طويلا لأقرب البنا
في الحلقة من الدرافيديين المقيمين في الجنوب أو الماليزيين والصينيين
المقيمين في الشرق . وهناك اختلاف الديانات سبب لطويل
المشاكل مع المسلمين الذين كانوا ملوك البلاد ويكونون الملوك أيضا
إذا غادرناها . وعلينا خلاف الهند موارد مسئوليات أخرى
وعلاقتنا الكثيرة مع الامم العظيمة في بقاع الارض تفتح علينا كل
يوم باب اشكال جديد مما يستلزم منا كثير مهارة ولطف ولين
فعلى من يشتغلون منا بالسياسة أن يعرفوا متى يفضل التنازل ومتى

نحب المعارضة وعلى الباقيين الثقة بهم وتعزيدهم
وقد علمنا من التاريخ كيف كان انقلاب الممالك العظيمة كمصر
وسوريا والفرس وروما وكيف كانت عظمتها وكيف كان سقوطها
وكانت تشابهنا چنوا وڤنيقيا بقوة سفنهما وسعة مستعمراتهما وتجارتهما
ويلزمننا تجنب ما وقعنا فيه من الخطأ اذا أردنا ألا تسقط دولتنا لان
أقل هفوة كافية لتلاشى أعظم الأمم فانه كما قال يرون « لا تكفى
ألف سنة لتشييد دعائم مملكة ولكن ساعة واحدة تكفى لتدمير
أعظم الممالك »

ومن الواجب اتباعه فى سياستنا الخارجية حفظ العلاقات الودية
مع الأمم الأخرى . وانا لنأسف كثيرا على ما تمكنه قلوب الأمم
لبعضها من العداة على أن واجبات الإنسانية التى تشمل الجميع تقضى
بضرورة التقرب والتحاب والائتلاف وما قاله أحد خطباء بلاد
الغال فى عبارته الآتية يوضح لنا هذا الرأى بأجل تشبيه فقد قال
« انه بينما كان يتنزّه ذات يوم رأى من بعيد شكلا مخيفا فوق أكمة
ولما اقترب منه قليلا ظهر له أنه رجل ولما صار بجانبه وجده أخاه »
واننا والأمم الأخرى إخوة فى الإنسانية نستفيد بفوائدها ونألم
لألمها ونسعد بسعادتها وكل اهتمام دولتنا توطيد السلام ومنح
السعادة للعالم أجمع

ولقد أزعجت الحروب فكر الإنسان فاننا نبألع فى وصف
استعداد الجيوش وتشجيع الجندى على الفتك بالارواح ليكون
يوما ما قائدا ونخرس عن وصف الآلام التى تحيق ببنى الإنسان من

جاء تلك الحروب ! ان فظائع الحروب ومذابجها وآلامها لأقوى سببا يدعوننا الى قبول (التحكيم) فالى متى تبقى هذه الوصمة الشنعاء بل العار العظيم في وجه الانسانية ؟ ماذا نقول عن القبائل المتوحشة ؟ ألا يكون لها عذر فيما تأتية من الفظائع والقتل اذا كانت الامم المتعدنة الحافظة لسياج الانسانية ترتكب ما هو أفظع ؟

ان الاحساس الشريف والعقل السليم لا يقبل شيئا من ذلك ! يوجد في أوروبا من الجند الآن ثلاثة ملايين ونصف في وقت السلم ويبلغ هذا العدد عشرة ملايين وقت الحرب وتستعد لتبلغه عشرين مليوناً . وتبلغ المصاريف الاسمية كل سنة مائتي مليون جنيه ولما صار التجند بالاقتراع زادت المصاريف أيضا وكل هذا للتسلح ضد بني الانسان ولو أقيمت هذه الثلاثة الملايين ونصف من الرجال (وهم الأشداء) في أعمال مفيدة وقدرنا نتيجة عمل كل منهم بخمسين جنيا في السنة لكان مقدار ما نستفيد منه مائة وخمسة وسبعين مليوناً من الجنيهاً وبإضافة هذا المبلغ على المائتي المليون جنيه التي تصرف على أولئك الرجال في الجندية يكون مقدار ما تصرفه أوروبا حقيقة على الحروب ثلاثمائة وخمسة وسبعين مليون جنيه في السنة

وهناك اعتبارات أخرى تؤيد قولنا هذا ولكنني أقصر على هذا الاعتبار المالى علما بأن الدراهم هي التي تمثل حياة الانسان ومجهوداته وانه ليستحيل علينا نظر مثل هذه الاستعدادات الحربية في البر والبحر بدون الشعور بألم شديد وقلق عظيم فعاقبتها ان لم تكن

الحروب فستكون الافلاس والدمار

وديون أوروبا آخذة في الازدياد يوما فيوما فقد ارتفعت في العشرين السنة الاخيرة ديون ايطاليا من أربعمئة وثلاثة وثمانين مليون جنيه الى خمسمئة وستة عشر مليونا وديون النمسا من ثلاثمئة وأربعين مليونا الى خمسمئة مليون وديون روسيا من ثلاثمئة وأربعين مليونا الى سبعمئة وخمسين مليونا وديون فرنسا من خمسمئة مليون الى بليون وثلاثمئة مليون وبلغ مجموع ديون حكومات العالم في سنة ١٨٧٠ أربعة بليون جنيه وهو حمل هائل فظيع ثقيل ! وماذا نقول الآن وقد بلغت ستة بليون وزاها تزيد يوما بعد يوم ! ومما يزيد حزننا ان كل هذا الحمل المريع لم تنشأ عنه فائدة مما بل استنفد في اقامة حروب وفي الاستعداد لحروب أخرى . فآين السلام ؟ ألسنا في حرب مستمرة لا تنقص غير الوقائع والمذابح !

اننا ننفق في انجلترا ثلث إيرادها في اعداد حروب مستقبلية وثلثا آخر في سداد قيمة حروب ماضية ولم يبق غير الثلث لادارة البلاد وحكمها ومطامعنا كثيرة ومصالح كل الامم مرتبطة ببعضها البعض فكل حرب تحصل اليوم تكون بلا شك حربا مدنية

واذا لم يصادف قولي « طلب السلام بأي ثمن » قبولا فاني لأخشى القول « بأن السلام الوهمي السائد الآن غالى الثمن » نعم قد تطرأ بعض مسائل حيوية يصعب فيها التحكيم ولكن كل الحروب التي أقيمت في مدى المائة السنة الاخيرة كان يمكن الاتفاق فيها بدون رفع سلاح . ولما تكلمت مع الميسيو غامبتا في مقابلي

الأخيرة له على هذا الموضوع أجابني بنشاطه المجهود « اذا استمرت النفقات على هذه الحال يأتى يوم يكون فيه الفرنسيين جمعا من الشحاذين إزاء صفوف ثكنات الجيوش » ولكن فرنسا تنهت بعد ذلك خففت كثيرا من تلك المصاريف

ويزيد أسسنا كلما أمعنا النظر في أحوال أوروبا فقد أنهكت النهلينست بلاد الروسيا وأصبحت المانيا تخشى الاشتراكيين وفرنسا مرتعدة الفرائص من تهديد القوضويين وسائرة تحت السير في طريق الافلاس ولا عذر يقبل لهؤلاء القوضويين يحلل ما يرتكبونه من الجنايات والفظائع الا أنه لا يوجد في هذا العالم شئ بلا سبب

وتشتغل الصانع بأوروبا ساعات كثيرة يهول طولها مقابل أجور زهيدة جدا وقد قرأنا في تقارير ايطاليا الأخيرة ما يشخص حالة المزارعين التعيسة في هذه البلاد وليست حالة صغار الملاك في فرنسا وغيرها بأحسن من ذلك لذلك فاني أوافق من يقولون بضرورة جعل يوم الشغل لا يزيد عن ثمان ساعات ولكن جمعية هايدبرك قررت منذ سنين عدم امكان تنقيصه بدون اتفاق دولي وخير وسيلة لذلك عندى تخفيض ميزانية الحربية لانه اذا بقيت الحالة العسكرية الحاضرة على ما هي عليه لا يأمل أحد في تنقيص زمن الشغل وتدعو الضرائب اللازمة للجيوش البرية والبحرية كل رجل وكل امرأة في أوروبا أن يشتغل على الأقل ساعة زيادة عن الزمن الذى يلزمه حتى صار الدين عبادة إله الحرب لا النصرانية ويمكننا على الأقل استعاضة ذلك بسلوك طريق السلام وبذل الجهد في حفظ

علائقنا الودّية مع الأمم الأخرى ومعاملتها بالادب والعدل وكرم النفس

وتستعد كثير من الممالك لاثارة الحروب وتسلك طرقا ممقوتة بمعاكسات مالية ومن قول كوبر « ان فاصلة الجبال تسبب العداوة بين الامم التي تودّ الاتحاد كقطرات الماء التي تتصل لتتماسك وتجتمع » ولكن شرّ الفواصل ما أسسته الامم بيدها بين بعضها البعض كالجوارك والدخوليات وغيرها وأكثر من ذلك الغيرة والجفاء وتوهم كل منها العدا في الامم الأخرى ورميها بما لا يطرأ على فكر واحدة منها فيلومنا لتتميم وظيفة المدني الصادق أن نربي فكرنا باعتناء كما قال بورك وأن نقصد بأعمالنا تحسين المجتمع الانساني وتقديمه . والحياة قادرة وتستلزم شهامة ومعرفة ومن ينقصه الاحتراس وقت وجوبه كمن يفرّ الى فريق العدو يخالف واجبه

وقد استحسن اللورد بلانجبروك في رسالة « روح الوطنية » جملة لسقراط مغزاها « لا يبحر الصانع على عمل ما لا يعرفه ولكن جميع الناس يظنون أنفسهم قادرين على تدبير الممالك وهو أصعب الاعمال » وكان كلامه هذا عن حالة اليونان في عصره ولو عاش لآن ودرس أحوال انجلترا ماغير شيئا منه

فان لدينا كثيرا من المسائل التي تستلزم حلا عاجلا وصار النزاع طويلا بشأن عدم كفاية رؤوس الأموال للاعمال بدرجة يخشى منها تأخير ارتقاء مصنوعاتنا ونقص أثمانها ولا تزال الصحة في مدننا العظيمة متأخرة والعلم في مهد طفوليته وأشغالنا العمومية

في حاجة الى عناية كبيرة والمناقشات النيابية وادارة الاشغال والمكاتب الخيرية تستلزم التفاتا خصوصيا وبيننا فقراء كثيرين ولو أننا لوجود الجمعيات الخيرية ولرأفة الاغنياء بالفقراء والقوانين التي وضعت في صالح هؤلاء البائسين والاهتمام بهذه الوسائل قد أمنا الوقوع في القوضى وتضارب الافكار كغيرنا من الامم

وبذل المال هنا ليس بأهم الواجبات الاجتماعية فقد قالت الانسة « سويل » المشهورة بقوة الحجّة « سأقول أمرا ولا أخشى اعتباره بدعة فانه الحق وهو : كلما كانت سكان جهة فقراء كان التصدّق عليهم بالمال أقلّ فائدة ولو في أول الامر » فان المجاملة والتعجب أغلى قيمة من الذهب ومن يضيع وقته انما يفقد ما هو أثمن من الدراهم كما أنه يخشى أن يحصل من الدراهم والتهوّر ضرر اذ ربما يضر العمل الذي لم نحسن صنعه أكثر من الذي أهمل . وعلى هذا فبت روح الأمل والشجاعة في قلوب الفقراء أفيد بكثير من مساعدتهم بالمال . والاعانة الحقيقية هي التي تقدر بها على ترقية العقول وتقويم القلوب لالتى تتحمل بها مصائب غيرنا فيشارك في الداء المريض والطبيب وعدا ذلك فان الاحسان بالمال يعود الفقراء عدم الاشتغال ويميت قلوبهم عن الواجبات ويحوّل رغباتهم عن حب الاستقلال

فلا تعن أحدا بدرهم واجعل كل مرءتك في أن تهيب له سببا للعيشة ليتمكن من مساعدته لنفسه
ويحتاج كل منا لغيره في المعيشة ولكن العاقل لا يتكل على غير

ساعده في قضاء حاجاته لانه يستحيل اتفاق الافكار ويصعب تشابه المشارب كما لا يمكننا تحقيق جميع ما يقصد الغير من التقدم وكثيرا ما تنفق دراهم لا تقصد خالص الصدقة بل للتخلص من بعض ما نعد به انما لا يجب أن تنقص مثل هذه الافكار من هممتنا في السعى مع الغير في صالحه فان هذا مهما قلّ يعرب عن شرف النفس ويزيد رفعة في القدر ومحمدة في السيرة خصوصا لو كان القيام بتلك الخدمات خاليا عن الغرض وعمله بقلب خالص فانه يكسب خيرا الجزاء

ومن أقدس الواجبات العمل على رفع منار الوطن مهما كلفنا من طائل المال وتحمل الأخطار وقد قال چلبرت « من لم يقيم بأداء واجبه نحو وطنه وشخصه خوفا من الخطر أو الموت ليس بأهل لأن يعيش لان الموت لا بدّ منه ولكن النفس الشريفة لا تموت »

وليست الاعمال العمومية كتشكيل اللجان والانتخابات والجمعيات الانتخابية والخطب والمجالس البلدية والعمومية بأعمال خيالية تدهش الفكر وتزعج الخاطر ولو أن الانتخاب وقت السلم كضربة السيف في الحرب ولا يقل عن ذلك الا كونه لم يهدر دما أو يكدر صفو السلام

كما أن الانتخاب ليس بحق لنا نطلبه بل هو واجب يلزم الاستعداد لأدائه ولا يليق بأحد أن يتمتع بخيرات وطنه الناتجة عن نشاط مواطنيه الا اذا شاركهم في عمل ما يجب عليه فالنجاح الشخصي كما قال بيكون لا يعتبر غاية للحياة

ومهما داخلنا حب النفس ودناءة الحصل فان الوقت الذي نمضيه

في أداء الواجبات الاجتماعية ليس بوقت ضائع وكما قال أرنولد « ان حب الغير ومعاونته والعمل على نشر لواء العلم ورفع الشك وتقليل وطأة الفاقة والميل الى اسعاد العالم أجمع كلها دلائل المدنية الحقة التي تزيد في سعادتنا وسعادة الأمم » ومما قاله مارك أوريل « قوم النفس التي منحتمها واستخلص منها ما يجعلك رجلا شهما حنكته التجارب محبا للخير العام وطينا ذا قدرة وسطوة لا يحتاج صدقه لشاهد أو مساعد في الاثبات أو جنديا ينتظر صوت النفير مستعدا لمفارقة الحياة » وفي مقدرتنا جميعا أن نكون رجالا عدولا ذوى شجاعة ووطنية صادقة لتساعد على الوصول الى السعادة العامة ونشر لواء الصحة والفضيلة والكمال

١٢

في الحياة الاجتماعية

اننا معاشر الانجليز نفتخر باعتبار كل منا داره كحصن له ولكن هذا لا يكفي فانه يجب أن تكون داره محط رحاله ومركز أفكاره . وقانون بلاده هو في الحقيقة ذلك الحصن وارادته وحدها هي التي تعين له محط الرحال ومركز الافكار

وتتولد هذه الارادة من احساس الحب والثقة وذكري الطفولية وكرم نفس الأهل وآمال الشباب وواجب الميل والاحترام للغير وما يقدم لهم من صغير الخدمات وآمالنا فان ذلك قوة محط الرحال وطهره وربما كانت الدار التي ينقص ساكنوها الحب حصنا أوقصرا ولكنها

لا تكون ملجأً ووطناً كما أن الجحش الذي لا روح فيه ليس بجسم إنسان
وفي الامثال « الفؤاد المسرور بهجة أبدية والقليل مع خوف الله خير
من كنز ملؤه كدروان أكلة من بقول بهناء نفس ومحبة خير من
أكل عجل سمين مع تشرب القلب بالعداوة والبغضاء » ومنها « قطعة من
الخبز القفار مع التمتع براحة البال أسمى بكثير من طعام شهى مع وجود
المشاكل والمشاغبات »

وليست منازلنا الآن بعزيزة علينا كما كانت قبل فقد كانت
أيضاً حمى لنا من استبداد الامراء والحكومة ولكنها صارت
ملجأً المضطرب الذي أزعجته الدنيا بهمومها وهي كالملينا تحتمى
فيها السفن عند ثورة العواصف التي لا بد للإنسان من ملاقاتها
في طريق الحياة حتى انه يرى في العيش الاكثر سعادة تقبلت هذه
الاضطرابات . ولا يهب النجاح في الحياة وحده السعادة ولا راحة الضمير
ولم يخلق الرجل ليعيش وحيداً في الدنيا بل ولا في جنة الخلد فانه
كما قال برناردن « ماذا تعمل النفس الوحيدة حتى في الجنة » واذا
كان كل انسان مشغولاً بحاجات منزله فيكون محتاجاً الى غيره واننا لم
نخلق للوحدة فقط ولا للاجتماع فقط بل للامرين معا

ان محاسن الطبيعة لسرور دائم ولا تفيد بهجة السماء اذا كان القلب
مظلاماً فيلزمنا الاخلاص والاحترام والمحبة لذوينا لان ذلك أساس
التمدن الحقيقي الذي يورثنا الخير ويحيي فينا أشرف شعور ووجدان
ولا تفعل الملائكة الاطهار أسمى منه اذ فيه منح السعادة للغير

وربما كان منزلك ضئيلا بلقعا ينقصه النظام ولا يروق منظره انما فيه
قوة قدرتك وتمام واجبك فيزداد فيه خيرك وسعادتك كلما زادت صعوبته
عليك وتجلدت على تحملها

وانه لصعب على النفس أن تصبر على الهموم أو الظلم وأهون عليها
تحمل شاق الاعمال من ذلك فان فيه تضحيتها التي هي أعلى من المال
والوقت والدأب على العمل

وقليل منا من يعمل على ضرر الغير ولا أظنهم قرؤا ما ذكرته هنا
ولكن منشأ هذا الضرر في الغالب عدم التبصر وتحجر القلب وفساد
الدوق فعامل الناس بالبشاشة والرأفة والمحبة اذ لا يكفي محبة من نعز بالقول
بل يجب أن نبرهن لهم على اخلاصنا ونتحاشى ما يفرط أحيانا في كلامنا
من المؤلمات . وكلنا يعلم مقدار ما يستفيدة من أقل عبارات التسلية
والتشجيع التي ينطقها اللسان وقد قال اللورد شستر فيلد « طالما قام بنفسى
ولا أزال أعتقد أن أعظم ما يحمله الانسان هو طريق الحب والكراهية
فاننا نضر من نحب بتساهلنا في معاملاتهم وتعامينا عن أغلاطهم وأحيانا
بتشجيعهم على بعض الامور ونؤذى أنفسنا في حالة الكراهية باتباع
أهواننا وتهورنا »

واننا نعيش منعزلين حتى بين أحبابنا : قال چان بول رستر « اننا نعيش
في جزر متفرقة في بحر واحد فنحن محبوسون في سجن جسمنا » وفي
الواقع فاننا لانعرف حقيقة أصحابنا وأهلنا حتى ان أفراد الاسرة الواحدة
يعيشون في عزلة لارابطة حقيقية بينهم ومصالحهم كالحطوط المتوازية

لا تتقابل أبدا ! وقال كبل (١) « لا يدرك القلب الشفوق بنا والعزير علينا نصف الاحساسات المخفية وراء ضعيف تبسمنا أو تحسنا »

ونمضي أيامنا في التكلم عن الطقس وعن آخر رواية ظهرت وعن السياسة والصحة ومحاسن جيراننا ومساوئهم وكل ما لا يهم كثيرا حياتنا الداخلية التي ترتبط الحياة الحقيقية بها وحدها ولكل موضوع مبتذل قليل الأهمية حظ عظيم في محادثتنا ثم نقول ان قليلى الفكر هم الذين يكثرون الكلام

وقليل من يدرك صعوبة فن المحادثة اذ لا يكفى الاخلاص وحى الارادة لاكتساب قلوب أفراد الاسرة الواحدة بل يجب توفر الميل والقدرة على التعبير فاذا لم تجدد من الناس من يسر خاطرهم فسر خاطرهم أنت

ومن الناس من يتباهى بقول كل ما يمر بفكره . نعم انه يحمّد الصدق والاخلاص ولكن المحادثة تستلزم انتخبا في الافكار فاذا أردنا امتلاك قلب السامع وافادته يلزمنا بذل الجهد فى حسن محادثته ومن ينقبض صدره دائما فهو أول فريسة لنفسه وكما قال بوب « من يتعب الغير يتعب ولا يجد راحة الا فى النكد » ومن لا يسر من شئ لا يسعد حظه أبدا بل ينقص من سعادة الآخرين أيضا على أن جلب السعادة للغير لا يستلزم غير ارادة حية وذوق سليم وتجربة واعتناء خصوصا وان هذا الاعتناء لازم فى كل عمل يراد به الخير أو الشر . ولطف المعاملة سبيل

لنيل كثير من المقاصد وفي الامثال القديمة (يعرف الرجل بالمعاملات) وفي الواقع فان كثيرا ممن اغتروا لم ينالوا الثروة الابعاملتهم كما أن كثيرا لم ينجحوا بسبب سوء تلك المعاملة فرئيس الوزراء لم ينتخب رفقاءه مثلا بتجربتهم أو بلاغتهم أو ذكائهم وأخلاقهم فقط بل ينتخبهم في الغالب ممن حسنت معاملاتهم واكتسبوا ثقة الناس

قال ما كسويل « الاتفاق والاختلاف كلمتان مستعارتان من الموسيقى ويدلان فيها على معنيين أوضح من المتعارف وهما اجتماع القلوب واقتراقها » ويجب عند لزوم الانتقاد استعمال اللين خصوصا فيما يتعلق بالاطفال فعقل الصغير كما قال رشتريثاثر مما لا يؤثر على الكبير وقد زعموا ان روبنس كان بإشارة خفيفة في صورة ولدي يجعله ضاحكا أو باكيا وجميعنا يمكنه ذلك بكلمة واحدة

وإذا لمت أحدا فنصيححتك ألا يتعدى لومك أذن من تلوم وأن تمدحه في الجهر إذا لزم ذلك فان ما يقال سرا يسفر عن لطف وتعطف ويسمع بشكر ويعظم وقعه كما أن المدح ينهض همة الممدوح ويحسن سمعة المادح

وأقل العثرات وقلل من اللوم ما أمكنك وإذا أوجب عليك عملك لوم أحد فتلطف فيه مع ابداء تأسفك على اضطرارك اليه ولا تظهر غضبا ولا تجرح قلبا : قال ارشيتاس لخادمه « لو لم أكن غضبان لعاقبتك » ولا تسرع في الكلام إذا اعتراك غضب بل ترو فيه ولو قليلا لأن حسن المعاملة واللفظ في انتقاد الاشخاص والدقة في فحص الاعمال من أوضح

دلائل حسن التربية

وعامل الناس بأدب كما هو الواجب وتذكر أن الموت يشمل الجميع .
ولا تتفصل عن صاحب لك بحالة غضب أو عدم كثرات اللهم الا اذا
اضطرت لذلك والا فتكون قد خالفت أصول الأدب وربما كان ذلك
الفراق هو الأخير

ومن الكلام ما يشبه أشعة الشمس تنتعش به النفس ومنه ما ينفذ في
الجسم كالسهم وكما قال هربرت « لا يكلفنا الكلام اللطيف شيئا بل
يفيدنا كثيرا » ومع ذلك فليس الكلام في كل الاحوال لازما ونظرة
واحدة من المسيح للقديس بطرس عند ما أنكره كفته ليكي طول عمره
وكما أن النظرة الواحدة كافية للعتاب كذلك تكفى في الغالب بعد
طويل الفراق لتمام القلب سرورا ويكفى التبسم المسفر عن أكيد الحب
لينير حالك الليالي وكما قال لابريير « وجودنا مع من نحب كاف »

ولا تكن كثير الاعتكاف ولا تخش ظهور احساساتك وكن ودودا
مظهرا أجلى البراهين على اخلاصك وكن شفوفا ذا قلب حى
سريع التأثير صادق الاخلاص فان الرفق يريح القلوب باكثر من
الاحسان والاخلاص أجل قدرا من الدراهم وتكسب الكلمة اللينة سرورا
لأثابته الهدايا

وتبصر في انتخاب أصحابك فانهم كما قال سيسبيرون « من أعظم زينة
الحياة وأثمنها » فانتخبهم كما قال جورج هربرت « من أكمل الناس لتعد منهم »
وفى امثال اسبانيا « قل لى من تعاشر لأقل لك من أنت »

ولا يقل انتخاب النساء عن ذلك أهمية فكم دمرن من ديار عقلاء
وما خطيئة سيدنا سليمان التي رويت إلينا إلا بسببهن
والمحبة كما قال ليلي « جوهر الحياة النفيس » ومن لأصحاب له جدير
أن يرثى لحاله وهو المسؤول وحده عن وحدته وكما قال لونجفلو « لم تشق
المقادير بالانفراد إلا من لا قلب يتأثر مع قلبه » فهل تجب علينا بعد ذلك
الوحدة يقول كبل « ان كلا منا يعيش مقتصرًا على دائرته يحجبه ستر
السرور أو الألم وترى أعينه ماحولها بنظر السعادة أو الشقاء حسبما
يهديه إليه الوجدان » وهذا يجب في بعض حين لأنه يصعب على
الإنسان التحبب من جاره اذا علم أنه سيفارقه

وقد يتخيل لك أحيانًا أنك محق في شكواك فاصبر عند ذلك
وتفكر فيماذا تعمله لو كنت في موقف من تشكو منه ولا تتسرع
أبداً فان الندامة في العجلة ولا تتعجل على الأخص في معاداة الناس
بل تبصر كثيراً في الأمر لأنك مهما تأملت من معاملة صديق ثم
صبرت يوماً يتغير نظرك أو كتبت لأحد رسالة بليغة مؤلمة وأبقيتها
للغد رجحت أهمالها

فتقرب من أصحابك ووثق رابطتك بهم لأنه خير بالإنسان ألا
يكون له صاحب من أن يصحب من لا يشق به وفي الأمثال
« ولا تخالط الأشرار والمفسدين ولا تسلك لهم طريقاً فانهم لا تنام لهم
جفون إلا اذا عملوا الشر أو أوقعوا رجلاً في التهلكة ولا أكل لهم إلا
عيش الشقاء ولا شرب غير اقتراف الذنوب ولكن سبيل الصالحين
ساطع النور يترقون فيه الى نهاية الكمال »

وإذا كانت معاشرة الاشرار والحقى خطأ فليس من الصواب معاداتهم لانهم لا يزالون عديدين . فاتهز كل فرصة لتظهر لهم من اللطف ما يمنع أذاهم عنك ومن ملح لامب « ان الهدايا تزيد المحبة في الغائب ولكن اللطف والصبر والتوافق أكثر فائدة منها »

ولاصحابك الحق في طلب ما يمكنك الاستغناء عنه ولكنه لاحق لهم في الاقتراض وقد قال شكسبير « لاتستدن من أحد ولا تدن أحدا لان ذلك يفقد الدراهم والاصحاب معا وليس بمقتصد من اقترض » وقال سيدنا سليمان « من يضمن آخريندم ومن يمتت الضمانة يعيش في اطمئنان »

وتحفظنا الاصحاب من أخطار كثيرة وأحزان فمتى تيسرك وجود أصدقاء حافظ عليهم وكما قال شكسبير « أوثق رابطتك بهم بسلاسل من الصلب » ولا تجعلهم يشكون منك وإذا فرق الموت بيننا وبينهم فلنطمئن القلب بأمل رؤيتهم في الدار الآخرة . نعم ان هذا الأمل لا يعزى كثيرا على فقدهم الا أنه يساعد على تحمل المصائب والصبر عليه وأهم مسائل الحياة أمر الزواج وأعظم لوازمه التوافق والحب وقد قال سيمونيد^(١) « لانعمة أتم من زوجة صالحة ولا نقمة أشد من زوجة سيئة » وفي الامثال « مثل الزوجة الشحنة كبالوعة تستجمع غزير المطر الهاطل ولأن يعيش الانسان في خباء خير له من سكنى دار فسيحة مع زوجة غير مطيعة »

ويصعب ابداء رأى مفيد في انتخاب الزوجة ولكنه يجدر بى ذكر

بعض نصائح نافعة في ذلك : ليس من الصواب أن يبادر الانسان في الزواج صغيرا ولا أن يتزوج لقصد الحصول على الدرهم أو وهو خال منه فلا تقدم على هذا الامر الخطير الا اذا صدقت رغبتك في قبول اعباء الزواج ولهذا السبب ترى بعض المتزوجين يعيشون في سعادة والبعض الآخر في شقاء. ويوجب الزواج عظيم المسؤولية فلا تغتر فيه بالظواهر ولا تنخدع لانه كما قال تيلور « ليس الزواج بأنظار تتحول وأيدي تضم بل هو مسألة تختص بالعقل والقلب » والزوجة الصالحة ساعدنا في الحياة الحسية والمعنوية ويقول شكسبير « اذا تحاب أدنياء الناس فانهم يشعرون بشرف في النفس لم يكن قبل في طبائعهم » فاذا كان هذا تأثير الحب عند الأدنياء فكيف يكون عند ذوى القلوب الشريفة

ويقول ترتليان « اذا ساعد الاقتران فليس في استطاعة البشر وصف تلك السعادة لانها هي التي تجعلهم لا يفترون في أوقات الشدائد والهموم أو الفقر والسرور ولا يخفون عن بعضهم سرا أو يسأمون الحياة »

وما قبلك الزواج بامرأة الالتميش معها في السعادة أو الشقاء في الغنى أو الفقر في الصحة أو المرض ولتحبها وتعزها حتى يفرق بينكما الموت وقال استانلي « الزواج السعيد مبدأ جديد للحياة والسعادة وجيل الاعمال وهو الفرصة الوحيدة التي ننسى بها كل ماضينا مع هفواته وجنونه ثم نعيد السير ملؤنا الشجاعة والقوة وأمل حسن المستقبل ونرى من منزلنا مثال السعادة الحقيقية الدائمة لان كلا من الزوج والزوجة والاب والام والاخوة والاخوات والاقارب والاولاد يساعد ويعين بما في قدرته

مما لا تنتظره من الغير حيث يعلم كل منهم أخلاق ذويه أكثر من معرفته أخلاق الغير ويسعى في طريق اسعادهم وإعلاء شأنهم لأنه من دمهم ومن لحمهم وسعادتهم سعادته ونفرهم نفره كذلك تؤلمه آلامهم ويضعفه ضعفهم وتحط من قدره عيوبهم وبذلك يهتدى الكل الى معرفة الواجبات فيرتقوا أوج السعادة»

والاولاد أخيرا منشأ مسئولية عظيمة في حين أنهم منحة من الله وزينة في الحياة ومنبع لعظيم المسرات وقد يعتذر بعض الآباء عن اهمالهم شؤون أولادهم بقولهم « أعطاهم الله فما وسيعطيهم مايا كلون » وأجاب عن ذلك أرنولد بقوله « لا عذر في أن يهمل الانسان أبناءه من الطعام أو من التربية » وكل صغير رسخ في قلبه تأثير الاخلاص الحسن كان أكثر استعدادا لمقاومة صعوبات الحياة »

ولا يشعر بلذة العيش مع أولاده الا من يحبهم من الآباء لان ماتبديه هذه الاطفال من الفهاة والغضب والطهر وبعض النقائص وكثير الطلبات هي أسباب سرور وتسلية لمن يسر منهم ويجب الاتناس بهم وقال تيلور « من لا يحب زوجته وأولاده يكون كمن يطعم حيوانا مفترسا يجلب على نفسه المصائب ولا يرتاح باله ولا يبلغ السعادة أبدا . فكل ما أوجبه الله تعالى من حب الزوجة ليس الا منبعا لسرورنا وسبيلا لسعادتنا »

١٣

في الاجتهاد

لا تكن مسرفا لاسيما في الزمن فان اليوم لا يأتي غير مرة واحدة
واذا مضى لا يعود والوقت من أسمى مواهب الخالق التي لا يمكن استعادتها
متى فاتت فلا تتصرف فيه بما يؤسفك على فواته أو يجعلك تندم على
باطل استعماله اذ لا فكرة أشد ألما من قول (فات الوقت) أو (كان هذا
يمكن أن يكون) والوقت أمانة عندنا نسأل عن التصرف فيها فلا تضع
منه كثيرا : قال دريدن « كما أنه يجب التقليل من النوم ومن الأكل
يجب التوفير في الوقت » وقد عزا نيلسون سبب طائل ثروته الى
مجيئه في المحل المنتظر فيه قبل الميعاد المضروب بربع ساعة وقال اللورد
ميلبورن « كل ما يجب قوله للاطفال هو هذه الكلمات : انما حياتكم
منوطة بكم فبحسب ماتبدلونه من الجهد والاجتهاد تموتون جوعا أو
تتبحون في هذه الحياة » وليس الاجتهاد بالسبب المهم للنجاح في
الحياة فقط بل هو أيضا العامل القوي في تحسين الاخلاق وقال تيلور
« لا تكسل أبدا وشبع العقل بنافع ما يشغله لان الفساد يسرى في النفس
التي دأبها الخمول ويشغل الجسم غير المشغول ومن حسنت صحته وجنح
الى الكسل وتبع الشهوات وقع في الشرور والشغل مأمّن من وسواس
الشياطين » وقال كبل « انما الدنيا والوقت موضع اختبار الرجال فيه
تستعدّ النفوس للدار الآخرة التي جعلها الخالق جزاء العمل في الدنيا » وكل
مانع له لزيادة سعادة الغير أو تحسين آدابه يعدّ ولو قلّ من أسمى رغبات

الانسان وأنفع آماله

ويروى أن بطرس دى مديسيس طلب من النقاش الماهر ميشيل أن يفحص صورته في الجليد وهذا بلا شك وقت فاقد ونحن كذلك نفقد جهلا كثيرا من الوقت في اتباع الأهواء

وجميعنا كما قال سنيك « نشتكى من قصر الحياة مع أننا لم نعرف استعمال كثير من الزمن ونقضى جزءا عظيما من حياتنا في ضار الاعمال أو في البطالة ونقضى العمر تقريبا في عمل مالا يلزم » ومهما بذل الحكيم فينا من الحذق والمهارة في حسن استعماله للوقت لا يفوز بأ كيد القوائد والحد في العمل والثبات والاستثمار منه من عوامل السعادة والنجاح قال سيسرون « يلزم للنجاح الشجاعة ثم الشجاعة ثم الشجاعة » وكان خليقا به أن يقول : يلزم الثبات ثم الثبات ثم الثبات

ويستفيد الجسم من الشغل كما يستفيد منه العقل فان انشغال الفكر يوما واحدا يضر الانسان أكثر من شغل أسبوع كما أنه يخل نظام المرء بتمامه ولكن الشغل يوجد ذلك النظام ويحسن الصحة . وتكسب التمرينات الجسدية صحة الجسم والعقلية راحة البال والقلب

ويجب أن يشغل الانسان عقله بما يعمل به ويبدل أقصى جهده فيه والا نحدث تلك القوى العقلية . والذكاء قوة لا ينهكها الملل أو كما قال البعض اجتهد وثبات وقد سخرت (جورج اليوت) تلك السيدة الشهيرة قصصها بفكر من قال ان ما أودع في تلك القصص إلهام أو كما قال (دويت) للطلبة في مدينة يال هو قوة الثبات في الاجتهاد . أو كما قال (بيفون) هو صبر جميل

ومهما كان في الاجتهاد من المشقة فان التسؤل أصعب منه بكثير ولذلك يلزم أن يشتغل كل انسان ليقوم باحتياجاته . ومن قول فرنكلن « القروى الواقف على رجله أعلى من الشريف الجائى على ركبته » وقد ذكر (كويت) في أجروميته أنه تعلم قواعد اللغة لما كان جنديا ينقدائى عشر صليدا في اليوم وكان يذاكر وهو جالس على فراشه ويستعمل جراب أدواته خزانة لكتبه وقطعة خشب يضعها على ركبته مكتبته وبلغ أمنيته في سنة واحدة . وما كان عنده من الدراهم ما يكفي لشراء شمعة أوزيت فكان يندر وجود ما يستضيء به في الشتاء غير النار بل كانت أوقات فضائه من خدمته قليلة وشراء ما يحتاجه من حبر وأقلام عليه صعبا وكان يعد ثمنها عظيما حيث لم يتوفر له من مرتبه في الاسبوع غير أربعة صليديات ومن قوله « أتذكر جيدا أنى فقدت في يوم جمعة صليدا بقي معى من مصروفى فتأثرت كثيرا وحرزت على ما فقدت ورميت بنفسى فى فراشى با كيا كالطفل فهل لشاب من عذر بعد ذلك اذا قصر فى السعى لنيل مقصوده » وانه لخير رجل يمثل من نشط وجد فبلغ مقصده مع نقص درهمه وقال بكون « يجهل الكثير معنى الثروة وفائدة قوة النفس التى منحت اليهم فيشقون كثيرا بالمال وقليلًا بتلك القوة على أن الاستقلال والعفة يوجبان الرجل ألا يشرب من غير مائه أو يأكل الا من خبزه وأن يشتغل ليكسب ذلك الرزق ويستخلص مما يعمل خيرا فوائده » وقال إيمرسون « يأمرك الخالق بالاستمرار فى العمل سواء كوفئت عليه أولا فالجزء من جنس العمل فان أحسنت صنع عملك تشعر من نفسك بتلك المكافأة وجزاء خير الاعمال القيام بها »

وقد حكى السير والتر سكوت ان « ميكيل سكوت » الساحر العظيم لم يمكنه التحفظ على نفسه من الروح التى كانت تخدمه الا باستمرار تكليفها بكثير الاعمال لان الشيطان متى طرد من القلب يحاول العودة اليه فان وجده خاليا دخله ومعه سبعة مثله شر منه

وليس الكسل براحة بيد أنه يتعب أكثر من العمل وقد كانت تقول الرومانيون « تصعب الراحة من غير عمل (١) »

ولا تتعجل أبدا فان الدنيا خلقت على الاناة وتقول أهالى سويسرا لمن يرشدون من الشبان فى صعود الجبال « سيروا الهوينى لتصعدوا سريعا (٢) » وحقا فان من يتأنى فى السير يصل بسرعة لغايته وفى الامثال العربية « العجلة من الشيطان والصبر مفتاح الفرج » وكثير يتوهمون السرعة اقتصادا فى الوقت وهذا من الخطأ الفحش . نعم يلزم النشاط فى العمل ولكن اتقانه يفضل عن السرعة فى نهوه غير متقن ومع هذا فان العمل الذى يتسرع فيه يتعب كثيرا ويستدعى جهدا عظيما . ولا يفسد التسرع العمل فقط بل ينهك الحياة أيضا وقد قال جوث « اشتغل بغير ما تسرع أو راحة » ولكن كلمة راحة هنا لا تحقق قوله تماما فانه قال فى موضع آخر « نبجز عملك بلا تسرع وأبعد عنك كل ما يعيق تقوية فكرك وأحسن تفكيرك وانتخابك الصالح لك واتبعه واعلم أن السنين الطوال لا تصلح عملا لم يتصرف فيه » ولا تقف السير فان الحياة سريعه بل سر بشجاعة حتى تلقى الموت وأبق بعدك ما يؤثر عنك ولا يمحيه الزمن

(١) Difficilis in otio quies (٢) immer langsam

فان الانسان في حياته ذكرى بعد مماته

فيلزمك حينئذ بذل الجهد في العمل وألا تتسرع فيه أو توسع عليك فيه الخرق وقم الصباح مبكرا وأرح عضلاتك وعقلك ومرنهما واستغرق في نومك الوقت الكافي ولا تشحن معدتك باطلا واعلم أن اشغال الفكر والتأثر والضجر منه وفقد الصبر فيه لا يتم لك عملا بل يذهب بحياتك على مر الزمن أو يوقعك على الاقل في خطر الامراض أما اذا استرحت في حياتك ولزمت فيها السكون كان شغلك وافتكارك تمرينا للعقل مفيدا له بكيد الهواء. وأحسن القيام بواجبك وكل أعمالك مهما صعبت عليك فانما كان انتصار الدوق دى ولنتون بعالي مهارته وقوة مدرسته وتوفر صفات الرأسة فيه حيث كان يهتم كثيرا بالوقوف على مقادير المؤن ومطاعم الجند وملابسه وعلف الخيل . وتأتى الفائدة في طريق العمل فقد اكتشف كولومب أمريكا وهو يبحث عن طريق من الغرب توصل الى الهند ويقول لنا جوث ان الملك شاوول عثر على مملكة عند ما كان يبحث عن حميرات أبيه وكما قال فرانكلن « اعقد العزم على عمل واجبك وقم بكل ما عزمت عليه »

وقد يتوهم البعض أحيانا أن الذكاء يغنى عن الشغل وهذا خطأ لان أكثر الرجال عقلا لا يصل الى رغائبه بغير الجهد كما أن بعضهم لم ينجحوا في حياتهم الا باجتهدهم ومما لاجدال فيه أن بعض الناس أكثر ذكاء من غيرهم فاذا فرض وجود رجلين في عمل واحد استويا في العمر واختلفا في الذكاء ولكن الذكى لم يستخدم قوته في تحسين أعماله فان

الآخر يفوقه باتقانه ونشاطه وحقا فان من يجب العمل ولولم يكن ذكيا يفوق الحكيم الذي لا يشتغل ومع هذا فانه لا قدرة كبير ولا مساعدة حبيب يمكنهما تعويض نقص الاجتهاد أو فساد الاخلاق: مما يروى عن جروست أحد كبار رجال الحكومة ومطران لنكولن أنه كان له أخ مزارع كسول أتاه يوما يستعين به على الدخول في عداد مشاهير الرجال فقال له: «إذا كان محرائك أيها الأخ قد كسر فاني مستعد لأصلاحه وإذا كان ثورك قد مات فاني مستعد لشراء بده لك ولكنه لا يمكنني اجابة طلبك. وانك مزارع فيلزمك الاستمرار في حرفتك والا فاني أخشى عليك فقد هذه الصفة أيضا» وما كان ميلتون ذكيا فقط بل كان مجتهدا لا تعرف همته الملل ويروى لنا عن نفسه «كنت أشتغل بقراءة كتب أعظم المؤلفين قبل الفجر في فصل الشتاء وعند صياح الديكة في فصل الصيف أو كنت أسمعها من قارئ يرفع صوته ليحضر بذلك ذهني ويجلي عقلي ثم أشتغل بما يقوى جسمي ويحسن صحتي ثم بواجب الدين والمساعدة على تحرير الوطن»

ولا تمل من عملك فاليك وحدك الانشراح منه وعليك النشاط فيه وابعاد مابه من الصعوبات بفحصك أسبابها وأوجه اعتباراتها. وتفكر طويلا فيما يكسبه العمل من السرور ليزداد نشاطك وحيك فيه فانك اذا قت به مسرورا سهل عليك ولو ظهر لك في الأول أنه صعب وغير مفيد ثم اذا ثبت فيه فانك تستخلص منه عظيم الفوائد

ويتساءل البعض عن مقدار ما يلزم للنوم من الوقت وهو سؤال عظيم

يرجع فيه الى حاجة الانسان لانه ليس من الحكمة أن يقلل منه المحتاج لكثيره والوقت الذى يمضى فى النوم الهادئ لا يضيع فانه أول عامل فى تنشيط الاعصاب ولا يمكن ساكنى المدن اكتساب هذا النشاط بغيره

وكان الترتيب اليومى الذى اتبعه السير أودارد كوك قضاء ست ساعات فى النوم ومثلها فى دراسة الحقوق وأربع ساعات فى العبادة وما يبقى من اليوم فى مشاهدة الكائنات فغيره السير جونز حيث جعل ست ساعات لدراسة الحقوق وسبعة للنوم وعشرة للاشغال الدنيوية وباقى اليوم يمضى فى العمل للآخرة . ولكن سبع ساعات لاتكفى للنوم ويلزم له وقت كاف ليكون الانسان عند اليقظة فى استعداد للقيام بالاعمال . والاشتغال فى أوقات الأحران يذهب الشجن فما سعادة الحياة كما قال شالمرس (١) (غير شئ يحب شئ يعمل وشئ يرجى) فاشغل نفسك دائماً فانك تجد فى الشغل راحة لا يشوبها كدر وكما قال ليلى « أينما حل العاقل وجد له وطناً وحيث أقام رأى قصراً » واشتغل غير معاند للزمان ولا تجرب قهره الا اذا اضطرت لذلك فيكون بعزم ثابت وقلب قوى ولكن ذلك لا يأتى الا قليلاً فعليك مسيرته لان الزمان لا يساعد من عانده وقد قال كنجسلى « مثل من يحتقر قانون الزمان كن يعذب بشريعة الآداب يهيج ضده كل الكون ويجمع الزمان

(١) Chalmers مؤرخ انجليزى له جملة مؤلفات مفيدة منها مجموعة

معاهدات انجلترا النولية (١٧٤٢ — ١٨٢٥)

قواه لينبغ عليه بكل كلفة وينتقم منه على اجحافه به بدون أن يندره بوقت ذلك الانتقام أو يعلمه طريقه أما من يراعى قوانين الزمان ويتبعها باخلاص وحزم فيأتى كل شئ في عونه ويرغد عيشه حتى ان الشمس المنيرة فوق رأسه والأديم الذي يمشى فوقه يساعده لانه بذلك يطابق رغبات الرحيم خالق السموات والارض الذي قرر لها نواميس لا يتأتى للبشر مخالفتها»

١٤

في الاعتقادات

يعلمنا احصاء الامم أن من ١٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ الذين يسكنون الارض ٤٠٠،٠٠٠،٠٠٠ بوذييين و ٣٥٠،٠٠٠،٠٠٠ مسيحيين و ٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ براهمة و ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ مسلمين ولله در سلدن في قوله « تدعى جميع الخلائق أن دينهم واحد وما ذلك الا ليعيشوا في الراحة والسكون لو أمعنا النظر لصعب علينا وجود ثلاثة أشخاص يتشابه دينهم من كل الوجوه » وليس هذا بغريب فاننا لانعلم شيئا عن حياتنا الدنيوية فكيف نعرف الآخرة وقال كانون لدون « سواء وجدت آخرة أولا فان في الدنيا أسراراً جليلة لاتدخل تحت حصر اذ لو ذهبت للتنزه في روضة تبشر فيها أوراق الشجر اللينة الخضراء بقرب الربيع لتبين لك من كل ما يحتاط بك قدرة عجيبة لا يمكنك رؤيتها أو مسها أو تكييفها بل ولا حصرها أو فهمها وهذه القدرة التي لاتراها ولا تسمع لها صوتا موجودة في كل مكان»

والشك أساس الفلسفة وحيث اننا نعيش في عالم كله أسرار
وليس في استطاعتنا معرفة منشأ أصغر حيوان أو أقل نبات فكيف
نرجو فهم ما لا نهاية له

ولقد قال الدكتور مارتينو « اننا معترفون بأنه تعالى اختص
بالفضاء والسكون فانه بينما يهبط التراب الذي رفعته شواغل النهار
بندى الليل وفي حال ما يتجه النظر الذي أتعبته دواعي الملل
الجزئية طول يومه نحو فضاء التأمل الفسيح وحينما تمتد الارض
كصحراء تحت ذلك العالم المزدان بالنجوم نرى حضرته القدسية
محيطه بنا تجعلنا نرتعد من هواء المساء وتوجه انظارها الينا بأنوارها
قديمة العهد الآتية من السماء »

وقال استوارميل « تبدوالينا الحياة الانسانية محاطة بغوامض
الاسرار فنرى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة في بحر
لا نهاية له يرفع احساساتنا ويساعد قوتنا الخيالية بعظمه وظلامه
ومما يزيد ذلك السر غموضا أن مجال حياتنا الدنيا ليس كجزيرة في
فضاء غير متناه فقط بل في زمان غير متناه أيضا »

ولكنه لا يصح لنا اليأس وإيقاف قوتنا المفكرة لكوننا مجبورين
على البقاء في دائرة الجهل فقد استكشفنا كثيرا مما لم نعرف
حقيقته قبل وقد قال بعضهم « لو سألتني عن حقيقة الزمان ما
تمكنت من اجابتك ولكني أعرفه تمام المعرفة ما دمت لا أسئل
عنه » وقال مارتينو « ان الذين يبحثون عن حقيقة الخالق
لمعرفة ارادته سبحانه في جميع الامور والذين يظهرون أنه لا يصعب

عليهم بيان تركيب كل شئ وسبب كل أمر أو يمدحون تدير
 القادر تعالى كأنه عمل منهم ناشئ عن فكر اعتاد على البحث
 والذين يسيرون في جميع طرق حكمته سبحانه بحالة مرتاح وقدم
 راسخة هم الذين يوقعونني في آلام الشك بسبب تأكيداتهم ويجهزونني
 أن أقول « عدوني بأقل مما تقولون وأنا أعطيك كل ما تطلبون »
 وقال سبنسر « نرى بين كل هذه الاسرار التي تزداد غموضا كلما
 زاد بحثنا فيها حقيقة واضحة لا بد منها وهي أنه يوجد فوق الانسان
 قوة أزلية أبدية ينشأ عنها كل شئ »

فيجب علينا حينئذ أن نكتفي بالشعور بهذه القوة ما دمنا عاجزين
 عن معرفة كنهها وكثير من المميزات التي تفرق الناس الى مذاهب
 مختلفة ناشئة عن تحزب لا عن تدين . ويهتم الكثير رجال العلم بالآلا
 عقيدة لهم ومع ذلك فانه كما قال تورو « توجد ديانة في العلم أكثر
 مما يوجد من العلم في الديانة » ولا يقصد رجل العلم بشكه انكار
 الدين بل ليبرهن على عظيم احترامه له وكما قال تنسيون « رجل
 العلم غير ثابت في اعتقاده ولكنه خالص النية في أعماله يحد ليضع
 لكل شئ نظاما وانه ليوحد في الشك غير المشوب بسوء النية اعتقاد
 أكثر مما في أغلب العبارات الدالة على تمام الايمان »

وليسمح لي بالرجوع في ذلك الى قول رجلين جديرين
 بالانابة عن باقي من يماثلهما فقد قال الاستاذ تندال « اذا
 أردت أن أعطى للسلطة الموجودة في هذا العالم شكلا حسيا أو غير
 حسي وجدتها تنبؤ دائما عن كل ما يخطر بالفكر فلا يمكنني أن

أعبر عنها بضمير أو أسميها روحا ولست أرضى اعتبارها سببا فسر وجودها يصعب على » وقال الاستاذ هكسلي وهو أحد رجالنا المتدربين وكان لا يميل للتدنيات الدينية « يمكنني ان أقبل وجود كنيسة تكون سبب خير عام هي كنيسة لا يتبع فيها تكرار الجمل الدينية المقررة كل أسبوع بل يقصد فيها توسيع نطاق دائرة العدل والطهارة والشرف في الحياة تكون هذه الكنيسة ملجأ لمن أنهكتة شواغله اليومية يجد فيه ساعة راحة يعرف فيها الحياة الطيبة الممكنة للجميع ولو لم ينلها الا القليل بل تكون مكانا يمكن لمن يكده ويتعب في طلب الكسب أن يرى فيه درجة حقارة ما يطلب اذا قاسه بالسلم والاحسان ولئن وجدت مثل هذه الكنيسة ماسعى أحد في الغائها »

ويجتهد علماء الدين أن يتكلموا بلسان يفهمه عموم الناس وليس من الانصاف التقيد في فهم عباراتهم بالألفاظ فان الشاعر عند ما يتكلم عن شروق الشمس وانها سيارة لانتهمه بجهل علم الفلك وكوننا أثبتنا أن الارض هي التي تدور لا الشمس لا يفيد أن شكسبير أوتيسون كانا من الجاحدين . والاختراعات العلمية تستلزم لغة خصوصية ومن حيث اننا لا يمكننا وصف زهرة أو حجر الا بايجاد ألفاظ جديدة فلا يمكننا أيضا شرح غير المتناهي بألفاظ الانسان فلم نعجب حينئذ من أن القدماء كانوا ينسبون للارواح أمورا علمنا الآن أنها تنشأ عن أمراض عصبية

لا ثواب في الاعتقاد بما لا يمكن شرحه أو فهمه بل

يستحيل أن نعتقد بشئ لم يصل الى درجة البدهاه ويجب علينا ألا نعتقد الا ما علمنا أنه حق ونوقف الحكم على ما عده

وكثير من يظن أنه مرغم على اعتقاد أمر أو عدم اعتقاده وليس من الحكمة ابداء شئ من ذلك فان الاعتقاد الحقيقي ليس بأمر اعتبارى بل هو أمر واقعى ظاهر وبدون الاعمال لا وجود له فقد شبه سلدن الاعمال والاعتقاد بالحرارة والضوء حيث قال «انه يمكننى بواسطة الفكر أن أميز بينهما كما أنى أعرف وجود الضوء والحرارة فى لهب الشمعة ومع اختلاف العنصرين عن بعضهما فانك لو أطفأت الشمعة لذهب معا» وتشير التوراة الى ذلك فان هابيل لم يقدم قربانه الا بالاعتقاد ونوح لم يصنع الفلك الا به وبه فارق ابراهيم أوطانه فكل هؤلاء كان لهم اعتقاد يميز لهم ما صنعوه فهم يمدحون على اعتقادهم بوجوب أداء تلك الاعمال مع صعوبتها . ومن واجباتنا خير السهلة أيضا ان نعلق الحكم فى أى أمر متى وجدناه غير مسند الى دليل بديهى . فهناك أحوال يعتبر الشك فيها من الواجب بل يعد من الفضائل وقد قال تيسون «ان ما نسلكه من الطرق قد ننجح فيه لدرجة نقف عندها وماهى الا بعض أشعة من أنوار الحقيقة ولكن الحق سبحانه فوق ذلك كله» وبعد قليل ينكشف الغطاء عن الحقيقة فيجب أن نرضى الان بجهل كثير من المسائل وقال ريسكان «تتوقف سعادتنا الانسانية على الاكتفاء بمعرفة ما يمكننا ادراكه ولو اختص بنا كثيرا»

و ينشأ سرورنا فى الحياة عن العيش تحت سحاب غير شفاف

والرضى برؤية تقطعه في السماء ونكتفى اذا أمكننا بأن نرى من خلفه الحقيقة الثابتة ونعقل أن وراء هذه الظلمة المحيطة بنا جمالا وشرفا ونشكر الله على وجود هذا الحاجب لذلك الضوء الشديد الذي ربما أحرقنا والنور الذي ربما أخذ بأبصارنا»

١٥

في الامل

سمعت كثيرا من الناس يتعجبون من اعتبار الامل فضيلة كالاعتقاد والاحسان ويقولون انه يمكننا قبول الاعتقاد فضيلة وان فضل الاحسان ظاهر للعيان ولكنه كيف يقال ذلك في الامل

لابد أن نعتبر الامل فضيلة اذ اليأس وهو نقيضه مذموم. وقوة النفس والثبات يدلان على وجود الامل كما أن قوة النفس تدل أيضا على شجاعة أعلى من أي عمل حماسي آخر مهما شرفت درجته وكثير من النساء الصادقات اللواتي ساء حظهن بتن شهيدات

فلا تكثر اهتمامك بالامور زيادة عن اللازم فما من أحد يغلب الا اذا فشل ولقد قال سيدني سميث بفطنته التي اشتهر بها «يجب للنجاح في هذه الدنيا ألا نقف امام تيار الحوادث خائفين متخيلين الخطر بل يجب أن نرمي بأنفسنا فيه بجرأة لنعبه بأي وسيلة تكون»

ومن العجيب ألا يخشى الناس الاخطار الحقيقية الا نادرا ويخشون في الغالب الوهمي منها فهم يخشون مثلا ان يسخر بهم سائر وقد قال شكسبير «يموت الجبان مرارا قبل موته والشجاع لا

يذوق مرارة الموت الامرة واحدة « ولما علق دن كشوت من يده بشباك الاصطبل ظن نفسه على شفير هاوية هائلة ولكنه لما قطع الجبل رأى أنه لم يكن بعيدا عن الارض الا بعض قراريط وكمن جيوش غلبت نهارا وهربت ليلا للفزع بلا سبب بل كثيرا ما يطرأ ذلك الخوف والفزع نهارا بغير ما حقيقة

ان من يشكو حالته يجب عليه سؤال نفسه عمن يحب مبادلته بها اذ لا يمكنه أن يرجو لنفسه نيل صحة شخص وغنى آخر وسعادة ثالث الداخلية فاذا كان غير راض بحياته فليغير الكل أو يبق الكل

ولقد كتب كولريديج لما توالى عليه المصائب الى السير همفري دافى: «انه مع كل هذه التغيرات والمذلات والمخاوف لم ينزل شعورى بالخالق باقيا يقوى اعتقادى فى أن كل ما أتالم منه انما هو خيرلى « ولا تيأس أبدا فكل شئ يعوض الاليأس ويالشقاء من دخل قلبه الجبن وقد قال جوث « اذا انعدمت الشجاعة انعدم كل شئ وموت الجبان خير من وجوده » وقال كبيل « من رضى بحظه فاز به » وقال كوبر « دع الاقوال المقرونة باليأس فان أظلم يوم اذا صبرت فيه وعشت لغده يكون قد مضى »

والخطأ جائز على كل حى وقد أصاب من قال « من لا يريد أن يخطأ أبدا لا يعمل شيئا » ولكنه يجب ألا تقع مرتين فى الخطأ بعينه بل يجب اعتبار خطئنا درسا لنا فيكون كسالم به نصل الى حياة أرقى . وكان جوزف هوم يقول « انى لأفضل وجودى دائما منشرح الصدر على أن يكون ايرادى ٢٥٠٠٠٠ فرنك »

و يلزم مراعاة الظروف فى كل عمل كما انه من الحكمة النظر الى
الماضى والى المستقبل فى كل عمل له ارتباط بمعيشتنا فكثير
من المصائب لم تأت الا من كوننا اهملنا المستقبل لاشتغالنا بالحالة
الحاضرة وأضعنا سعادة سنين مستقبلة للذة لحظة صغيرة . نعم «ان
(خذ) خير من (ستأخذ) مرتين» ولكننا لانعلم أبدا ما يأتى به المستقبل
وأسعد الناس كما قال روسكان « من كان سروره فى ماضيه وأمله
فى السماء »

اننا لا نخطئ كثيرا اذا تفكرنا دائما فى المستقبل لانه ليس على
الانسان الا ترك الفانى والهالك الذى لا يمكن للحياة الحقيقية
الاشتغال به فيأتيه ما هو دائم بجميع خيراتہ ويحل فى نفسه
ويجب على الانسان قبل كل شئ أن يكون ذا مروءة كما قال
سكوت وأن يكون عنده ارادة الفعل وقوة الجرأة لانه كما قال
شكسبير « تخوننا شكوكنا وتجعلنا نعدم الخير وهو قريب منا بسلبها
ايانا القوة والاقدام على المخاطر »

وليست الشجاعة بفضيلة فقط بل هى ركن لا يتحقق المروءة الا به
فيجب أن يكون الرجل شجاعا كما تكون المرأة ذات لطف ولكنه
من البديهي أن يكون الرجل لطيفا مع شجاعته أيضا وأن تكون المرأة
ذات شجاعة مع لطفها . وليس التهور من الشجاعة فى شئ فان الشجاعة
ليست الاستهزاء بالخطر بل هى مقاومته بعزم وليست أيضا عرض
أنفسنا للاخطار بلا ضرورة وانما هو الجبن الذى يزيد الخطر عند وجوده
أمام ملاقة الاخطار بسكون وعزم فهى أقوم الوسائل للخلاص منها

والهرب امام العدو اقرب طريق للهلاك فان آشيل عند ولادته غمر كل جسمه في النهر المقدس عند القدماء ماعدا كعبه فأصيب فيه من خلف . وعدم وضوح الامور يجعلها مخيفة ثم متى رأينا حقيقة الخطا واعتادت عليه عيوننا ذهب جزء عظيم من خوفنا فلتكن دائما ذا سكون وشجاعة ولا ترج من الاشياء كثيرا فقد قال جوث « سر الحياة الحقيقي تقليل الأمل وحسن التمتع بما لدينا » ولا تكن بعيد الأمل وكن صبورا فان من صبر ظفر ولقد قال بعضهم فأصاب « أشد الحيات حزا هي التي نوجدها لانفسنا ولا بد أن نرى في كل حال أحزانا ولكنه يجب التجلد على تحملها »

وقد قال رشت « تذكر في أوقات حزنك الشديد ساعات سعادتك ولتعلم أيضا أن تحمل الآلام أمر عظيم يساعدنا فيه ما نعلمه من أن المقدر لا بد صائر وأن الزمان والفرصة سريعا القوات وإن الصيف يأتي بعد الشتاء والنهار بعد الليل والسكون العظيم بعد تلاطم الامواج وإن الوقت يخفف كثيرا من أحزاننا والحزن وإن دام ليلة فإن الصباح يبدله بعظيم السرور »

وقال لنج فلولو « لا تضطرب أيها القلب الحزين ولا تتوجع فان الشمس منيرة وراء تلك السحب وحظك كحظ غيرك ولا بد لكل حياة من ساعات أكدار وأيام أحزان »

واذا حل بك أمر توهنته مصيبة داهمتك تحقق منه قبل اعتقاده لان الظواهر خداعة في أغلب الاحيان ولسنا عائشين في زمن يجوز لنا فيه التأثير من صغير الحوادث فاننا لا نعرف واجباتنا

بغير ماتجربة . والحزن وسوء الحظ متلازمان ولكن نلسون عرف
الانتفاع بفقد عينه يوم أن التفت الى جهة رجعة الانكسار التى
لم يكن مريدا لرؤيتها . وقال السير جرت « من الناس من لانود
أن نعيش عيشهم ولكننا نود أن نموت موتهم » وقد خلدت آلة
القتل ذكرا رجال مثل ما خلد كرسى المملكة وما تألمنا الا لخطا منا
أولرؤية خير غيرنا وقال شكسبير « يسعى العاقل فى اصلاح ما فسد
ولا يضيع وقته فى البكاء »

وكما يجب التمتع بجميع خيرات الحياة يجب ألا نعتبر أحزاننا
وآلامنا كمضار جسمية فانه لا يمكن لأحد اسناد تقدمه لنجاحه
المستمر ولو فرضنا أن هذا النجاح لم يضر بأخلاقه فلا بد أنه يضعفها
على الاقل لان تحمل المصاعب ومقاومتها والتغلب عليها يظهر
الاخلاق ويزيدها قوة وقد قال جيكي « امامنا الحى الباقى ويلزمنا
التشجع على التقرب منه تعالى » واننا مهما وجدنا سرورا فى لطف
الهواء وشمس الصيف فلاننسى أن للطبيعة جمالا وعظمة من ثلج
الشتاء وعواصفه أيضا

ان المصائب كريخ شديدة بيد أنها تقوى الجسم ولا بد منها لتقويم
الاخلاق وقد قال إبيكتيت « ماذا يكون هرقل الشجاع
لو لم يخلق له الاسد والثعبان وكثير من الرجال الجبابرة الذين أهلكهم
وأراح الارض منهم . ماذا كان يصنع لو لم يجد شيئا من ذلك . من
البديهى أنه كان يلتف فى رداءه وينام ولو عاش فى الرفاهية
والراحة ما صار شجاعا وفيم كان حينئذ يستعمل قوته وصبره وشجاعته

لولم تتيأ له هذه الفرص ؟ » وثأسف ابلودور على سقراط لما حكم عليه ظلماً وعدواناً فقال له سقراط « أأحب أن يحكم على وأنا مجرم » وقال بطرس الحوارى « الصبر على آلام الظلم يرضى الله فان أأعبك فعل الخير وصبرت فقد أأرضيت الخالق سبحانه وتعالى »

١٦

فى الاحسان

لا ينبغي الاقتصار فى معاملة الناس على ما نريد أن يعاملونا به بل يجب أن يكون لنا عليهم حسنات اذا أردنا أن يحسنوا إلينا فان أظهرت لهم عدم اهتمامك بهم كيف تنتظر منهم القيام بغير ما فعلت، ان ما يكون أساسه الاحسان لثابت المآل سهل المنال

ومن الناس من يتوهم فى نفسه قوة تذليل الصعاب كأن يبال الذى اخترق جبال الألب برشها بالخل ومنهم من يقدر على الاحسان ويهمل فيه على أنه من دلائل الخير والاخلاص التى تجعل الحياة سعيدة واذا أصبنا فى الشكوى من الآخرين فالحق الذى عليهم لنا هو فى جملته أقل جسامه مما توهمناه وكل تامل منا يكبر الامر . ولا يضر الانسان أكثر من ميله للانتقام ومن ينبغي أذى الغير انما يزيد نفسه ضراً فان النحلة التى تلدغ بحرقه تموت ولا يشم النسر غير الجيفة وفى أنواع السلحفاة من يعض قبل تمام خلقته وبعد موته كذلك حال من يقضى حياته بحثاً عن عيوب الناس وتشهيرها وتقضى الحكمة أن يمدح الانسان غيره أو يسكت عنه لأن ينسده به ويشهر . والهجو لا تأثير له بل مهما كان الانتقاد صحيحاً

فانه لا يكون كل الحقيقة فتعود نظر محاسن الرجال وترك مساويهم ان أردت معرفة حقيقتهم

وكن صبورا فانما تبكى الاطفال في الغالب من آلام تنتابها وليست الرجال في هذا الاعتبار وفي كثير غيره الا أطفالا اشتد جسمها . وكثيرا ما يفضل الشكوى ممن علمنا ميولهم وتوثقنا من مرض قلوبهم عن التأثير منهم والحقد عليهم

ومتى رأينا انسانا متأثرا له عواطفنا ولا نمنعه شيئا بل نقوم له بكل ما يخفف ألمه ويبعد عنه الملل والنصب فلم تقتصر على اظهار هذه العواطف في مثل هذه المواقف ؟ ألا يجدر بنا أن نكون على الدوام ذوي شفقة وحنان ؟

ولا يمكننا معرفة متاعب الغير ولا أحزانه وهمومه وآلامه فاذا كان لك حق في الشكوى من أحد كن به رفيقا

وأحسن ظنك بالناس «ولا تذكر من مات الا بخير» ولا تقتصر في ذلك على الاموات لئلا يتغالي المغتابون في نقل سيي السير أو شديد الانتقاد لينا طمعا في كلمة ودية منا أو في خدمة صغيرة نقوم لهم بها فيجب أن نتكلم عن الاحياء باحسان كما نتكلم عن الاموات . ولا تتسرع في الانكار وقلل منه ما أمكنك ولا تجزم بأمر على أحد اذ لا يمكنك معرفة ما ينطوى عليه فكره وقلبه وما يظهر لعينيك من نقص ربما عرض له في أمر غلب فيه ولو كنت أنت لغلبت فيه أيضا

وهناك أوقات لا بد أن نظهر فيها عدم رضانا ولكنك اذا لم توفق لقول كلمة ودية فلا تقل شيئا . روى عن سيدني سميث لما بلغه عن

صاحب له اغتابه أرسل اليه يقول « انى أجيز لك ضربى برجلك حال غيابى » ولكننا على العموم نحب أن يقول الناس الحق أمامنا وألا يقولوا عنا شيئا فى حين لا يمكننا الدفاع عن أنفسنا فيه وربما سر الناس سماع وشايتك الا أنهم يفهمون أنك تقول عنهم مثل ما تقول عن غيرهم فلا يأمنون جانبك بعد

اذن يجب أن ترأف بحال أخيك وأن تحسن ارشاده متى حاد عن الطريق السوى فالانسان من طبعه قابل للتيه والزم الصمت أمام ميزان الرجال فانه لا يمكننا اقامتها بالقسط وربما أمكننا تقدير ماضى ولكننا لانعرف مطلقا ماسياتى به الغد وليسمح لى هنا بالدفاع عن الحيوانات فقد قال سنك بحق « اننا بجميع الشباك والمصايد وكلاب الصيد والبنادق لى حرب دائمة مع جميع المخلوقات الحية » نعم انه لا يمكننا العيش بدون الاستعانة بباقي تلك المخلوقات ولكنه لا يجب أذاها بقسوة لاحتياجنا اليها ولأن نشوب لذتنا ونفرا عليها بتعذيبها وانك متى طهر قلبك رأيت كل مخلوق كمرآة للحياة وكتاب فيه المذاهب المقدسة . ولا اعتقاد لنا فى وجود نفوس للحيوانات وكثير من الناس من عهد بودا لكنجسلى اعتقدوا ذلك ولكن فى الطيور خصوصا سراسماويا فان فرنسوا دسيز لتحققه من أن له نفسا كان يعتقد ممكنا على الاقل أن تكون للطيور نفس أيضا حالة كنفسه فى جسم هالك ولم يكن ليرى عيبا فى اشتراك الانسان مع مثل هذه الحيوانات اللطيفة التى تسبح الله فى الغابات كما تسبحه الملائكة فى السماء

ومع كل ذلك فانه من الواجب معاملة الحيوانات برفق وشفقة لان ايداءها بلا ضرورة يعد جريمة عظيمة وقد أبان ورد سورث ان أحسن ما فى الحياة ما تكون من نتائج الشفقة والخير الصغيرة التى تنسى ولا تذكر وقال كولريدج « من يحسن العبادة يجب كل المخلوقات كبيرها وصغيرها لان الله الذى يحبنا خلقها جميعا ويحبها جميعا أيضا »

ولا يوجد فى جميع أقوال شكسبير أجمل من قوله « من خواص الرحمة ألا تكون جبرية فهى تأتى كالغيث من السماء وتجلب الخير لفاعلها ولمن وجهت اليه وهى ألقى بالقوى فهى داعى الاحترام للملك الذى يجلس فى دست مملكته وفى يده الصولحان الدال على القوة ولئن أوجب الصولحان الخوف من الملوك فان الرحمة فوق قوتهم فهى صفة الالهية والقوة التى تقرب من الله وهى العدالة المقرونة بالرحمة »

ونفسر كثيرا الاحسان بالصدقة وقد قيل « يجب اكرام الغريب والفقير لان الصدقة مهما قلت فهى من الاحسان » ولكنها لم تكن من على درجاته لأن الصدقة اذا منحت لمن لم يستحقها أضرت به أما الاخلاص والمحبة فلهما غير ذلك ومن قول پوپ « وقفنى اللهم لمشاركة الغير فى آلامه واخفاء مساويه التى تبدو لعينى واغفر ذنبى بماتبه لى من الرأفة بالغير »

وانس الاساءة وتذكر دائما الاحسان فقد قال شكسبير « كفران النعمة آلم من نهشة ثعبان » وقال سنك « لا يستحق الكثير منا رؤية ضوء النهار ولكن الشمس تشرق علينا جميعا كل يوم » ومتى قربت

منك الوفاة وحشرت فى البعث امام خالقك ليحاسبك على أعمالك
فهل يفزعك أكثر من كونك لم تكن رحيما أو محسنا أو مسامحا لمن أساء
إليك أو من ظهورك مجردا عن هذا الامل الوحيد الذى ينجيك من
هول هذه الساعة؟

١٧

فى العزيمه

يلزم للنجاح فى الحياة عزيمه ثابتة وترتيب حسن أكثر من المهاره
ولست أريد بذلك أن العزيمه توصل ضروره للنجاح ولكن هذا
لا ينقص من أهميتها فكما أنه يجب عمل الخير وعدم الافتخار به
كذلك يلزم العزم فى اتباع سبيل الصالحين الذين فازوا بالنجاح
والسعادة . وتقدر الحياة بقيمتها الأدبيه فاذا عزمتم بثبات
على دفع شكوكك وأملى عليك ضميرك فروض واجبك تنهيا لك
أسباب السعادة التى يرجوها كل من عزمها أما اذا أهملت شيئا
منها فانك تنقص من قدر تلك السعادة

ويتميز العاقل بقوة عزمه فانه كما قال وردسورث «لا يشغل الحكيم
نفسه بالاهوام التى لاتليق بالانسان بل يتبع سير واجبه بتمام ثقة
وأكد عزم ويقاوم الاخطار التى تحول بينه وبين ذلك الواجب
ويتغلب عليها بحسن اعتقاده فى الله »

فيلزم اذن لتمام النجاح فى الحياة شئ واحد : أما المال فلا يهم
كثيرا وليست المهاره والشهرة والحرية والنفوذ بضرورية أيضا .
ولا تكفى الصحة وحدها ولكن الضرورى اللازم فى كل الامور
هو عزيمه ثابتة وإرادة حية

وتتبع العزيمة الارادة فانه لو خرج عن مقدورنا أن نكون جميعا شعراء أو رجال علم وفنون الا أنه يوجد كثير من الفضائل التي لا يمكننا ادعاء نقص الكفاءة لا اكتسابها كالقيام بالواجب والاخلاص والشهامة والاجتهاد والرضا بالقضاء والاقتناع بالرزق والكرم والحرية ومقت الرفاهية والزينة والفخفة وواهى الامور

ألم يأن للإنسان أن يفكر في كثير الفضائل التي يمكنه اكتسابها ؟ انى أسائل من يقصر في واجبه وأناقشه الاسباب ؟ أهى غباوة فطرية تدفعه الى الملل واطهار الكسل وسلوك طريق المداهنة وترك جسمه التعيس يتخبط في مهلكات الاهواء والجحوش في العجب والأمل في الوهميات ؟ لا وربى انه لفى امكانه تحرير نفسه من وصمة كل هذه الرذائل

أخلق ضعيف العقل ؟ انه لجدير بمثل هذا الاهتمام كثيرا بسد هذا النقص الذى لا يحسن السكوت عليه وحرى به أن يفقه ما أودعه فرانكلن الشهير فى قوله « لما أردت اكتساب الفضائل فكرت فى وجوب عدم ارهاق نفسى الى نيلها معا وعملت على الحصول عليها واحدة بعد أخرى وكلما تثبت فى احداها تخطيتها الى الثانية وهكذا حتى تثبت بعون منه سبحانه فى الثلاث عشرة فضيلة التى هى الاعتدال والسكوت والترتيب والثبات والورع والمواظبة والاخلاص والعدل والمساواة والنظافة وراحة البال والعفة والتواضع » نعم انه يصعب التصديق بصحة اتباعه هذا الطريق الا أن التثبت فى فضيلة واحدة يستتبع اكتساب غيرها من الفضائل

وندهش كثيرا اذا سمعنا رجلا يتصدق على آخر وهو يقول له :
توجه لحانة خمر واصرف فيها ما أعطيتك لك أؤخذة وقامر به أو
اشتر به ما لا ينفعك . فلماذا يعمل الانسان ما يراه ممقوتا !
ولتمش رافعا رأسك فان من يسير وعينه منخفضة لا يرى الا ما في
الارض ومن لم ينظر للسماء ويعتبر بما فيها يعرض نفسه لكثير
من الآلام

ومتي رست في الفضائل مقتنا كثير المطامع في الحصول على
اللقاب والرتب وما بلغ (شكسبير وميلتون ونيوتون وداروين) سأمي
الشرف بما تمنح الحكومات من هذه الألقاب والرتب ومن أعظم
مساوى تلك المطامع المنتشرة ألا يقنع الانسان أبدا بما أتيح له
كما اذا صعدنا جبلا شاهقا فاننا كلما وصلنا الى مرتفع رأينا أرقى
منه ولم يبلغ اسكندر أو نابليون أمانيهما بل أبعدهما الطمع عن
التمتع بالراحة وشكر الحظ وكما قال بيبكون « من يتعود النجاح ويفشل
مرة يعدم سرور النفس ويتبدل كيانه » ويقول الشاعر سكوت
« قضاء ساعة اضطراب في حياة عالية يعادل حياة قرن كامل بغير
شهرة » ولكن الطمع كنار القبس غش لامع وفي تاريخ ماري دى
ميدسيس عبرة فانها كانت ملكة فرنسا ثم الملكة الوصية عليها فقام
ملكها وملكة اسبانيا وملكة انجلترا والدوقة دى ساووا .
رفضت كل أولادها قبولها في ممالكهم وأهملوها حتى ماتت بمدينة
كولونيا في أشد الفاقة ينقصها الخبز بعد أن صبرت عشر سنوات
على مر المظالم

وما كل التيجان الا من الشوك وتزداد المسؤولية كلما كان حاملها شريف العواطف طاهر الذمة اذ يستحيل علينا عدم التأثير ما تسببه هفوة حكم صغيرة من المصائب لآلاف من العالم ولم يخلق الانسان ليقف في طريق الحياة بل ليتقدم فيها ولذلك ترى الكثير منا لا يمكنه البقاء على حالته فيلزمنا التقدم أو الموت ويجب الاعتناء في اختيار ما نجعله مقصدنا في الحياة وما يؤدي من السبل اليه وما النجاح الذي يبلغ بنحسب الوسائط الاتأخرا واحتقارا وكيف يمكننا التوفيق بين ما ذكر من حاجتي الطبيعة المتضادتين ؟ يجب أن يكون طمعنا في تهذيب النفس وتكميلها وفي الوصول الى الحقائق والقدرة على معرفتها

وجدير بالانسان أن يطمع في أداء واجبه لافى غيره من الدنايا فما كان الدوق دى ولنتون يكتب في رسائله غير كلمة (القيام بالواجب) تعبيرا عن ألفاظ الشرف والمجد والفخار . ولا يهتمك بعد مائة سنة أن تكون غنيا أو فقيرا شريف الاصل أو وضيعه انما يهتمك كثيرا أن تكون قد أحسنت عملك أو أسأت فيه : قال ريسكان « كل ما نفكره ونعلمه ونثق به لا ينفعنا كثيرا في نهاية العمر وكل ما يعنى هو ما نعمله »

وكن حرا محبا للصدق فقد قال جان بول رشت « أول خطيئة اقترفت في الدنيا كانت الكذب والشيطان فاعلمها » وفي الامثال « لا يأمر الله بالافراط ويجب الاعتدال » والصدق كما قال شوسر « أجمل متاع » وقال غيره « يحب الصدق ويمقت الكذب كما تمقت السرقة » والكذب

كما قال بليطارق « ينبيء عن عدم الخوف من الله وعن الخوف من الخلق » وينجبل الكذاب من عدم صدقه ولكن الصادق لا يجب أن ينجبل من قوله الحق

وفي الحياة فضائل كثيرة تكسب الانسان ثقة الناس به
انما هناك فضيلة لا يكون الانسان بدونها انسانا ويفقد طيب العيش
ولذة العمل وما هي غير الصدق . فاننا مادعوننا أعظم الرجال وأكبرهم
وأثقاهم بهذه الالقاب الا لكونهم كانوا صادقين مخلصين لانفسهم
فبلغوا هذا الفخار

قال ورد سورت « أمران مع ما بينهما من عدم التشابه لا يمكن
فصلهما عن بعضهما هما شهامة الطاعة مع شهامة الاستقلال - وشهامة
الثقة مع كمال الاعتماد على ألا يركن الانسان الا لنفسه » فتعود الطاعة
لتعرف كيف تأمر فان الجندی غير الماهر لا يكون قائدا عظيما « ولا تعجب
بنجاحك » فقد قيل في الامثال « الكبر مطية الهلاك وتعالى النفس
موردة الدمار » واننا نجتمع في فكرنا بين الاهواء والحد وبين الصبر
والبطالة وهذا خطأ لان الصبر يستدعى قوة في النفس واتباع الاهواء
دليل على الضعف ووهن تلك القوة فاخضع النفس مهما كانت
رتبتك وكن عادلا فقد حكى لنا أن أحد ملوك الشرق أمر مرة
بقتل رجل برى فقال له « أقلل من غضبك أيها الملك فاني لا أدوق
غير عذاب لحظة ولكن خطيئتك تبقى الى يوم النشور » والسلطة
في الحقيقة عظيمة المسؤولية فلا تشغل نفسك كثيرا بما ترجو نيله
وافتكروا طويلا في اتمام واجبك فان هذا السبيل هو الأقوم ليلوغ

السعادة واذا تحيرت بين واجبين قم بأقربهما ولا تكن ممن يهملون أمر أسرتهم ويشغلون باصلاح حال المتوحشين فانه من الواجب تفضيل الاهل والبر بهم ومواساتهم على غيرهم

وكل ما في هذه الدنيا وجد للخير ويسهل تحقيق ذلك متى عرفنا أن العقاب الذي يحيق بنا جزاء الذنوب والخطايا انما يأتي من أنفسنا وأن مسرات الدنيا أساسها الفضائل وان الا لآلام مصدرها الشرف من يقترب ذنبا ظانا بعد العقاب عنه فقد خالف نواميس الطبيعة وليس من معنى الاعتراف بالذنوب أننا لانعاقب عليها فهذا يستحيل بل يعد الاعتقاد فيه من عظيم المصائب . ولا مصيبة أدهى من الرقى بارتكاب السيئات فانك ان عملت شرا سمم ذكره كل مستقبلك وربما ساعحك من أسأت اليه ولكنه بهذا يزيد في جسمك نار الغضب لان الاحسان لمن أساء يجعل المسيء في درك الهوان الاسفل

ويعلمنا السير حقيقة الحياة وترتبط به سعادتنا وثروتنا ولا تهملنا حوادث الغير أكثر من أعمالنا فاجعل لنفسك كل يوم رقبا منها فان العادة نصف الحكمة وتأتي العادة بالعمل والعزيمة بالعادة والحظ بالعزيمة وحيث انه في كل يوم يعظم عندنا حب الخير أو الشر فيلزمنا محاسبة النفس كل مساء لنعرف أين وصلت بنا . وقد قسم إيمرسون الناس الى قسمين قسم يعمل الخير وآخر دأبه فعل الشر فان كنت من القسم الاخير تبدلت أصدقاؤك أعداء وخواطرك آلاما وحياتك حزنا ودنياك سجننا وموتك هولا

أما اذا أسعدت إنسانا بكلمة عزاء أو قول محبوب فتكون قد عملت

في ساعة سعيدة عمل ملك كريم
ويحسن بالانسان الاعتكاف كل يوم ساعة أو نصف ساعة
يراجع فيها ضميره ولا اعتذار هنا بضيق الوقت فان الوقت لا ينقص
خير . واجعل همك عمل الخير ان أردت ألا تعمل شرا ومن يتعظ
بالموت ويفكر في اليوم الآخر وفي الجنة والنار لا يضل سواء السبيل .
ولا تضيع كثيرا من الوقت وتذكر خالقك طول أيام شببتك فان
من يريد أن يموت كما يحب ينبغي له أن يعيش كما يجب . ولا صعوبة في
الموت على الصالحين فقد ترجم تيرلوال وهو في مرضه الاخير الجملة الآتية
الى سبع لغات « النوم أخو الموت فيجب عندنومك إيداع النفس الى
عناية من يوقظك من موت الرقاد ورقدة الموت » ويقول لنا سيسرون
ان سقراط عند محاكمته لم يفه بكلمة واحدة لا كرجل حكم عليه
بالموت بل كمن تأكد من دخوله النعيم . ومن يريد نعيم الآخرة يسلك
في حياته طريق الصالحين فاجعل نصب عينيك أشرف خيال للوجود
ليمكنك تنظيم أحوالك ولتقول الناس عنك كما قال شكسبير عن بريوتوس
« كانت حياته شريفة متجملة بمجيد الصفات كأن الخالق أوجده
ليكون مثال الرجال » واذا كان ذلك عن امرأة فلتتبع هذه النصائح
ليقال عنها كما قال ورد سورت « انها كانت امرأة كاملة وشخصا
شريفا خلق للنصح والمساعدة في ادارة الامور ذا عقل وقاد لا ينقصه
الا ارادة القادر سبحانه ليكون من الملائكة » وقد كانت آخر كلمات
السير سكوت وهو على فراش الموت قوله الى لو كارت « عليك
بالتقى والتمسك بالدين وعمل الخير فان هذا وحده هو الذي يخفف

عنك الآلام عند ما تكون مثلي الآن » وقال بلعام « اللهم أمتني
موت الأبرار وأسكني دارك التي وعدتهم بها »

١٨

في راحة البال والسعادة

تجل السعادة عن أن تكون في الثروة وكثير ممن يظهر لنا أنهم سعداء
ينقصهم حسن الحظ لان السعادة هبة من الله سبحانه يعطيها
لمن يشاء وأما عيش النجاح في هذه الحياة فمملوء بالمتاعب والالهام
ومن نقصتهم مبادئ السعادة لا يمكنهم وجودها في جمال الكون
ولا في اختلاف مناظره أو مسراته أو مكاسبه : قال شوبنهاور « الدنيا
لبعض الناس كصحراء محزنة خالية من الفوائد وللبعض الآخر مفرحة
ذات ثروة مفعمة بالخيرات » ولا تبعد علينا السعادة متى عرفنا طريقها
انما لا يلزم طلبها باجتهاد زائد لان سرورنا العظيم كما قال دلاس^(١)
« يوقعنا في مهواة العذاب اذا التفتنا لنراه كما فعل أورفيه^(٢) » فاجتنب
الملاهي تتبعك المسرات ولا تشتغل بنفسك دائماً فانك لست بمفردك
في هذه الدنيا وكما قال ريسكان « لا تبحث عن الملاهي واجتهد أن
تكون منشراح الصدر دائماً » وانه لا مرعظيم أن يجعل الانسان حياته
سلسلة مسرات ولو لم تكن عظيمة ومع ذلك فان معنى (قابلية

(١) G. Dallas من مشاهير قضاة انجلترا وله مؤلفات كثيرة ١٧٥٨ - ١٨٣٣

(٢) Orphée من شعراء اليونان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . ويرى
أنه لما ماتت زوجته توجه الى اله النار وطلب منه ردها اليه فأجابه على شرط
أن لا ملتفت خلفه وهو عائد منه . ولكنه خالف هذا الشرط فأخذها منه ثانية

الانسان للتناقضات^(١)) انه وحده الذى وهب السرور اذ ليس للحيوانات فكر بدليل أنها لاتعرف الضحك الذى هو من أقوى دلائل سرور العقل

قال شامفور^(٢) «أكثر الايام ضياعا يوم لم يضحك الانسان فيه»
وفى الحقيقة ان من أعظم السرور سماع ضحك بهيج ينبىء عن انشراح والقلب الفرح طويل الحياة أما القلب الحزين فسريع العطب

وتجهد البشاشة فاذا غضبت يوما لاتترك الشمس تغيب وأنت متلبس به . ولا بد لحصول البغضاء من طرفين فلا تكن أحدهما ولا تكن ممن يقضون حياتهم فى الشكوى فانهم لو خلقوا فى الفردوس لأوجدوا مايشتكون منه وكن ممن يهثون لانفسهم سعادة فى كل آن فانهم لا يجدون حولهم الاجمالا ولطفًا وكما قال مورييس «أى جنة تكون أحسن من الدنيا اذا دفن منها الخوف الى الأبد ودام الأمل واستمرت الحياة»

والبشاشة تزيد القوة الادبية وكما ان الشمس تفتح الازهار وتينع الاثمار كذلك تفعل البشاشة بالحواس والحرية والحياة فانها تقوى فينا مبادئ كرم الاخلاق وتنمى ما عندنا من المحامد

ومن واجباتنا نحو الغير البشاشة أيضا ومما يروى لنا عن القدماء أنهم كانوا يقولون بوجود أوانى من ذهب فى كل نقطة يلتقى فيها

(١) Humour

(٢) Chamfort من شعراء فرنسا (١٧٤١ — ١٧٩٤)

قوس قزح مع الارض ومن الممكن قوله الان « ان من الناس من
بشاشتهم ووقع كلامهم ووجودهم ينعشون كاشعة الشمس ويحولون
كل ما يلمسونه ذهباً »

ومتى عرفت الناس البشاشة سد سبيل المشاحنة لان القلب
المسرور عيد دائم لصاحبه وللغير أيضاً وقد عاجلت بشاشة (فلورنس
نيجتنجل^(١)) من المرضى أكثر من عولجوا بأدويته وما مشاركتنا
الغير في حمله الا تخفيفاً من حملنا

وقد يتوهم البعض أن البشاشة دليل على عدم اكتراث الانسان
مع أنه لا ارتباط بين الامرين وكما قال الدكتور ارنولد « الانشراح
والبشاشة وهما من أعظم مواهب الله للانسان يقويان الفكر ويزيدان
في الاخلاص بلطف يفوق ما اذا كانا مرتبطين بمصاغر أو مصاعب
من يكفر بنعمة الله »

ومن الناس من ولدوا للشقاء وليسوا هم الفقراء وحدهم فقد أصبح
الاغنياء في تعب يفوق أتعابهم وكم صير المال حياة كثيرين لا تعرف
الراحة ولا السلام

ولا يمكننا ابعاد متاعب الحياة الدنيا ولكنه في قدرتنا التغلب عليها
متى أردنا ويلزمنا لذلك تزيين عقولنا بحمائل التصورات وسعيد الذكري
ويميل الجميع لسرور النفس ولكن القليل من يأخذ بأسبابها
ولا تعرف الناس مقدار سعادة الحياة ولا تحسب لها حساباً

ولا ينبغي تجسيم دنىء المشاغل حتى تصير من التجارب العظيمة

ومن قول سيسرون «ليست متاعب الحياة بجسيمة على من يعتقد دوام الوجود وعظمه لان العاقل الحكيم لا يعتبر ماتعلمه الانسان بالكثير أو ان هذه الحياة القصيرة بالشئ العظيم فهو دائماً فى احتراس يمنعه من الوقوع فيما لا تمد عقباه » ويتخيل لنا غالباً أن صغير الجروح التى تصيبنا ميمته وهوتخيل يضحك كرجل أصابه جرح خفيف ظنه جسيماً فاستدعى طبيباً وهذا أرسل يطلب له فى الحال لزقة فقال له المريض أظن جرحى ميمته فأجابه الطبيب « لا بل ربما شفيت منه قبل حضور الرسول » وكذلك يشفينا الوقت من العيوب كما يشفينا من الجروح

وقال ميل «ليس من الضروري أن يكون العقل عقل حكيم حتى اذا فتحت له أبواب المعارف وعرف استعمال جميع قواه يجد فوائد لا تنفى فى كل ما يحتاط به من تركيب الطبيعة ومحاسن الصناعة وعجيب تصورات الشعراء وحوادث الانسان وتاريخه وطرق عيشه فى الماضى والحاضر والمستقبل المنتظر وقد لا يهتم الانسان بكل ذلك ولو ليستخلص لنفسه منه بعض الفوائد لعدم إمكانه إفادة الادب والانسانية واقتصار البحث من أول الامر على تبليغ النفس ماتهواه » وانا نعيش فى دنيا ذات أزهار وأشجار وحشائش وأنهار وبحيرات وبحار وجبال ونور شمس وضوء قمر فهى بهجة القلب المنشرح ورضا من يقنع ولكنه يلزم لمعرفة قدر ذلك الجمال الشعور به فاننا كثيراً ما نتكلم عن ذكاء الكلب والقيـل ولكننا لانجد لهما سروراً فى منظر أحمل مدن العالم

ومن الناس من ينقصهم العمل ويبيتون يشكون الملل وهم فى هذه الحالة منشأ ذلك الملل فاذا وجدنا رجلا متعلما جيد الصحة صحيح النظر سليم الأيدى متوفرة له أوقات الفضاء ولا يرى لحياته غاية فذلك لان القادر سبحانه منح كل هذه الهبات لمن لا يستحقها

ولا يحقق لنا المال ولا الجاه السعادة وربما كان الاحسان وراحة البال بدون الرغبة فيهما شيئا عظيما ولكنهما لا ينشئان السعادة : يحكى عن ملك الفرس أنه شعر يوما بسىء حظه فاستشار المنجمين عن أحسن وسائل الحصول على السعادة فقالوا له بلبس قميص رجل تم له حسن الحظ فأمر بالبحث عن توفرت فيه تلك الصفة بين حاشيته ورعيته فلم يهتدوا اليه وأخيرا وجدوا فلاحا عائدا من حقله كان حقيقة سعيدا لحظ ولكن الدواء كان وبالأسف بعيد المنال فان الفلاح ما كان عليه قميص

وكما بينت فيما سبق وقالت به صحاح العقول ان السعادة لا تشرى بالمال ولا تدرك بالجاه وان تيجان الملوك فى الغالب محشوة بالشوك ومن قول أكرنوفون^(١) « يغتر الكثير بظواهر المظالم ولا يدهشنى ذلك ماداموا يحكمون على السعادة والشقاء بالظواهر أيضا . ويهيء الظلم لجميع النواظر خيرات وهمية يظن أنها غالية الثمن توجب المجد والفخر على ان الظالمين هم الذين تكن الشقاوة فى قلوبهم التى هى منشأ السعادة أو الشقاء . وقد حققت لى التجارب مالم للظالمين من قليل الحظ فى الخيرات ووافره فى أكبر المصائب »

قال ماسيون^(١) «من أين لك سوء الحظ أيها الانسان أليس لكون هذه الدار ليست مقرا لك وانك ما خلقت الا للدار الباقية وان هذه الارض ليست بوطنك وان كل ما عدا الله لا يعينك» وفى هذا القول ما يرضى من سوء حظه وقال بىكون «أنواع السرور ووسائل الفضائل كثيرة لا يستطيع حصرها البشر وكل ما يمكن قوله عن فضيلة ان فيها لذة لا تكيف وعن أسمى هناء انه يحل عن الوصف» ويدخل جميع ما فى العالم تحت قوانين عادلة حميدة ويربط الكل الخير ويسعى كل فرد فى طريقه فاذا ألت بنا المصائب فانما يكون لحظتنا أول تحقيق سعادة الغير ويروى لنا سيديرون ان إبيكير^(٢) قسم مطامع الانسان الى ثلاثة أنواع منها ما هو طبيعى وضرورى فى آن واحد ومنها ما هو طبيعى وغير ضرورى ومنها ما ليس بطبيعى ولا بضرورى : أما الضرورى منها فلا يحتاج الانسان تقريبا لشيء لالتماسه لان أسرار الطبيعة موجودة فى كل مكان وأما عن النوع الثانى فمن السهل أيضا التماسه أو الاستغناء عنه أما الثالث فلا تستلزمه الحاجة ولا تضطر اليه الطبيعة» ويلزمنا لحسن التمتع بالحياة حرمان النفس من كثير من المسرات الدينية فان الانسان يستفيد من عصيان النفس أكثر مما اذا سلم نفسه لأهوائها ولو أهملنا الحواس التى نتلذذ بها أحيانا لسارت بنا الى أخطار الحياة وأوقعتنا فى حبال مهلكاتها كبناات الماء فى العهد القديم ومن مصائب هذا العصر ألا نتمتع الا بقليل من أوقات الراحة

(١) Massillon من مشاهير كتاب الفرنسيس (١٦٦٣ - ١٧٤٢)

(٢) Epicure من فلاسفة قدماء اليونان

فاننا نعيش بين تقلبات الدهر المستمرة وكثير منا نساء ورجالا شعر
بما قاله بورتيا «قد تعب جسمي الصغير من هذا العالم العظيم» ومن
قول كنجسلي «لقد عرفت ان ما ينقص نوع الانسان هو الراحة الداخلية
راحة القلب والخاطر . ينقصنا خلق شأنه السكينة والاقتدار والخضوع
والرضا . خلق لا يحتاج لمقوم لا بتعاده عن القصور ولا لمهبط لتجرده
عن الاضطراب ولا لمشاغل تلهيه لقدرته على حسن الانتفاع بمواهب
الله تعالى وبالاختصار خلق معتدل ليس في المأكل والمشرب فقط بل
في جميع الميول والآمال والافعال منزه عن الشره والطمع الذي سقط
فيه سيدنا آدم ابتغاء الحياة والهداية فسلك به طريقا محظورة ولم يجد
غير المصائب والموت . نعم عرفت كل ذلك وعرفت أيضا أن الراحة
لا توجد الا فيما قدمت»

وقال ريسكان « يشكو الانسان من نقصه مميزات كثيرة كاصوات
الانتخاب والحرية والالقاب والدرهم وما عرف أحد منا احتياجه الى
الطمأنينة على أن لها من الطرق اثنتين أولاهما في تمام مقدرتنا وهي
تكوين كنز أفكار حسنة مفرحة فاننا نجهل مقدار عجيب القصور التي
يمكننا بناؤها بحسن الافكار تلك القصور التي لا تدرك طودها الشدائد
ولا تثلم بناءها الحوادث والتي تشيد بغير أيد لتكون مسكنا للنفس
المطمئنة هي تلك التصورات الجميلة وسعيد الذكري وغالى الحوادث
وصادق الاقوال وثمين الافكار التي لا تعرف القلق ولا يكدر صفوها الألم
ولا تزعزعها الكوارث» وترجع حياتنا صغارا الامور بقدر ما تخزننا المحن
ولكن الكراهية أسوأ تلك المخزونات

ولا يجب البحث عن السعادة في غير أنفسنا وفي غير قلوبنا فإذا لم يسعد حظنا في هذه الحياة الدنيا فكيف لنا انتظار ذلك فيما بعد . هل القادر سبحانه وتعالى يرأف بنا في الآخرة فوق رأفته بنا في هذه الحياة . انا لانرجو السعادة في الآخرة اذا عدمناها في هذه الدنيا وكما أن السعادة تزداد بلا شك بالمشاركة والتمتع والذكرى كذلك لها مصدر عظيم في النظر في العواقب والامل في عودة ما كنا نحبه وفقدناه وفي معرفة كثير من الحقائق التي لاتزال في الخفاء . ولا أضيف شيئاً على هذا المصدر العظيم ولكنه لا يجب أن نحتقر بسببه خيرات هذه الحياة بل يلزمنا للعيش في السعادة والسلام أن نغلاء عقولنا بعلى الافكار وقويمها وفي النهاية كما قال سقراط « أصلح الرجال من عمل على تكميل نفسه وأكثرهم سعادة من يتحقق من سيره في سبيل الكمال »

١٩

في الدين

« بحذف واختصار »

اذا كان الدين من حيث كونه علماً لم يزل أمراً غامضاً على أعظم العلماء فهو من حيث كونه معرفة ما يجب سهل الفهم حتى على الولد الصغير وما قاله لوك عن الاولاد من أنه يجب أن نوجد عندهم شعوراً بحب واحترام لمن بلغ النهاية في الكمال والطيبة يمكن تطبيقه على كثير من الناس فيجب الوقوف أولاً عند هذا الحد بدون زيادة في الشرح خوفاً من أن يتبادر لاذهانهم عن التكلم معهم في الارواح وعن التسرع في تعريفهم حقيقة تلك الذات التي لاتحد إيجاد أفكار

سخفة أو غير معقولة لديهم فيجب حينئذ اذا تكلمت مع الصغار عن الاله أن تقول لهم فقط : ان الله موجد كل شئ ومدبر كل شئ ويرى كل شئ ويمنح من يحبه جميع الخيرات . ومتى أدرك أولادك هذا المقدار تراههم يصلون من أنفسهم في زمن قريب الى أفكار أرقى في هذه الذات المالكة واذا وجدت بعض هذه الافكار معوجة يجب تقويمها في الحال ويحسن كثيرا أن يقف عموم الناس عند حذفكرة الاله كما أوضحت بدون إشغال النفس بالبحث كثيرا عن مزايا حقيقته تعالى التي يجب اعتبارها مستحيلة الادراك فان كثيرا من الناس لم يكن عندهم ما يكفي من القوة وسلامة الفكر ليميزوا مقدما بين ما يمكنهم معرفته وبين ما يفوق ادراكهم فيقذفون بأنفسهم في مهاوى الضلالة أو الكفر المحض بسبب هذا الميل الخالي عن التمييز ويشبهون الاله بأنفسهم أو ينكرون وجوده بالمرة لكونهم لا يمكنهم تصوّر حقيقته . وما قاله جونسون « كل ما يجعلنا فوق قدرة حواسنا وكل ما يجعل الماضي والمستقبل البعيد أهم عندنا من الحالة الحاضرة يزيد في شرف تسميتنا بذوات المفكرة »

ويجب أن يهتم الدين بأمر الجسم كما يهتم بأمر الروح فانه من الواجب أن يعامل كل منهما باحترام مثل الآخر . وليس الدين في الحياة اليومية الاقاعدة للسير ومحافظا على التقدم ومعزيا في المصائب ومساعد في الاتعاب ومأمنا ضد الاخطار ومواسيا عند الحزن وماجدا للسلم من الجائز ألا نعرف أصل منشئنا والى أين نسير ويتأتى أن نكون

غير مثبتين في أفكارنا واعتقاداتنا ولكن قلوبنا تعرف في الغالب ما يجب علينا عمله

ما يجب علينا غيرنا انما هو جزء مما يجب علينا لله وحب الغير يدل على حبنا لله وقد نميل في بعض الاحوال الى التشكى من الناس ولكنه مادام لا يمكننا أن نكون كما نود فبالأحرى لا يمكننا رؤية الغير في جميع أحواله موافقا لرغباتنا . فاذا كان لنا حق في الشكوى يجب أن نسامح لاسبع مرات كما قال البعض بل بقدر مانود أن يسامحنا الغير أى أضعاف ذلك سبعين مرة

وينجح خوف الآلم في التأثير على العقول أكثر من تأثير الأمل في السعادة فلا يجب اهمال العهود ولا الانذارات السماوية ويجب أن يوجد الدين في النفوس الأمل لالخوف والرغبة لا الرهبة كما يحسن بنا أن نجتمع في فكرنا بين الامرين فقد قال رالى « من يفكر كثيرا في الموت واليوم الآخر وفي الجنة والنار لابد أن تحسن سيرته » وقد قال سنيك « لاتطلب من الله ماتحب اخفاه عن الناس ولا من الناس ماتحب اخفاه عن الله »

تم بالمطبعة الميرية في ظل الحضرة الفخيمة الحديوية

سنة ١٣٢٧ هجرية

(٢٢ / ١٧٠٩ / ١٩٠٩ / ٢٠٠٠ ن)

فهرست

صفحة	
٢	مقدمة المترجم للطبعة الأولى والثانية
١٤	الغاية من الحياة
٢٧	الذوق السليم
٣٧	الدرهم
٤٨	الرياضة
٥٦	الصحة
٦٣	التربية الاهلية
٧٢	التربية الشخصية
٧٨	خزانات الكتب
٨٣	المطالعة
٨٧	حب الوطن
٩٢	الواجبات الاجتماعية
١٠٠	الحياة الاجتماعية
١١٠	الاجتهاد
١١٧	الاعتقاد
١٢٢	الأمل
١٢٧	الاحسان
١٣١	العزيمة
١٣٨	راحة البال والسعادة
١٤٥	الدين

وہ

R R

ج ۱۷۰

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔

کچھ پانہ

جامرہ

۱۔ اور اگر میں اس "عالم" میں تھا، تو اس کا حال
عالمی تہذیب و تمدن کی ترقی کے لیے ایک ایسا ہیرو تھا
۲۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا
اور اگر میں اس "عالم" میں تھا، تو اس کا حال
عالمی تہذیب و تمدن کی ترقی کے لیے ایک ایسا ہیرو تھا

۳۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۴۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۵۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۶۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۷۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۸۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۹۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۱۰۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۱۱۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۱۲۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۱۳۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۱۴۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۱۵۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۱۶۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۱۷۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا

۱۸۔ اس نے اپنے زمانہ میں ایک ایسا ہیرو تھا جس کا